المملكة العربيـــة السعوديـــة

وزارة التعليم العالي

جــامعة القصيم

كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية

قسم التاريخ



التنظيمات الإدارية والمالية لقافلة الحج الشـــامي

(١٠٤٤-١١٧٠هــ/١٦٣٥-١٧٥٧م)

رسالة مقدمة لاستكمال الحصول على درجة الماجستير في التـــاريخ الحديث

إعداد

مهـــــا بنت مشعـــــل بن صبحي المطيري

(٣١١٠٠٤٠٣٤)

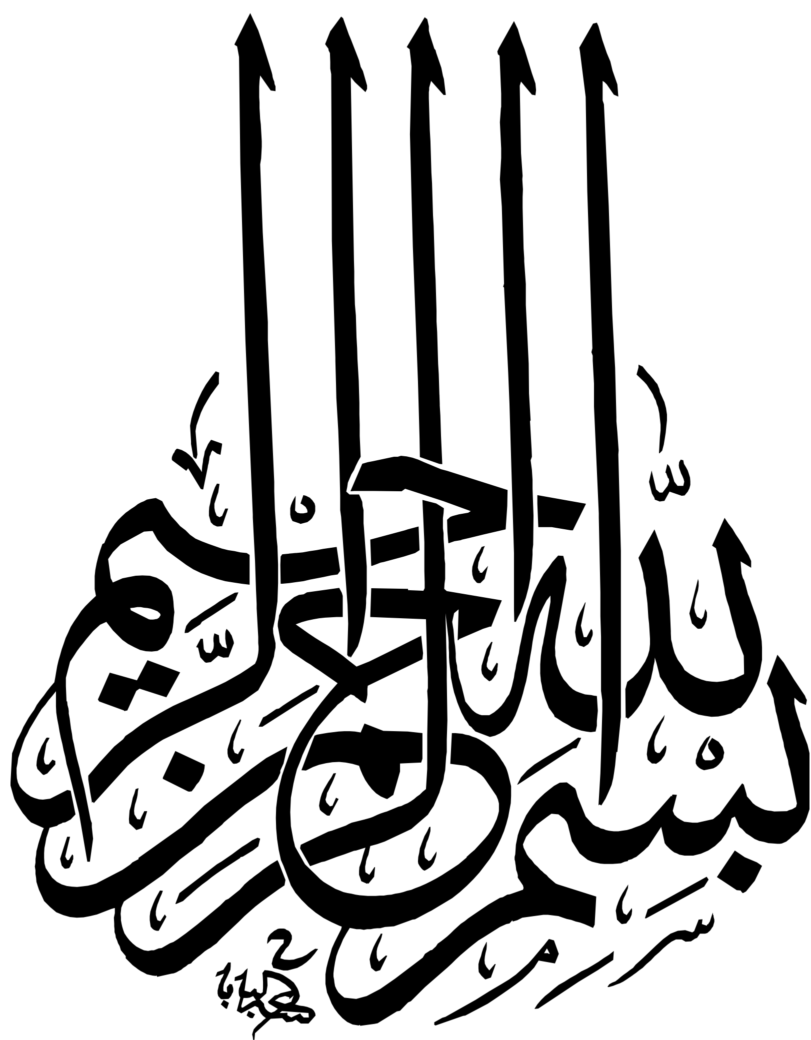
إشراف الدكتور

أحمــــد بن حــامد إبراهيم القضاة

الاستاذ المشارك بقسم التاريخ بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية/
جامعة القصيم

العام الجامعي

١٤٣٥هــ/٢٠١٣م


بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة القصيم
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
قسم التاريخ

Qassim University جامعة القصيم

التنظيمات الإدارية والمالية لقافلة الحج الشامي

(١٠٤٤-١١٧٠هـ/١٦٣٥-١٧٥٧م)

إعداد الطالبة
مها بنت مشعل المطيري

تمت الموافقة على قبول هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ الحديث

لجنة المناقشة والحكم على الرسالة

اعضاء اللجنة	الاسم	المرتبة العلمية	التخصص	التوقيع
المشرف والمقرر	احمد بن حامد القضاة	أستاذ مشارك	تاريخ حديث	
المناقش الداخلي	احمد بن عبدالعزيز البسام	أستاذ	تاريخ حديث	
المناقش الخارجي	سهيل صـــــابان	أستاذ مشارك	تاريخ حديث	

نوقشت وأجيزت في١٣/٤/١٤٣٥هـ-١٣/٢/٢٠١٤م

الملخص

التنظيمـــات الإدارية والماليـــة لقافلة "الحج الشـــاميّ"

(١٠٤٤ــــ١١٧٠هـ/ ١٦٣٥ــــ ١٧٥٧م)

إعداد: مها بنت مشعل بن صبحي المطيري

بإشراف الدكتور: أحمد بن حامد القضاة

كانت الدولة العثمانية تُسَيِّر في كل عام قافلتين للحج إلى الأماكن المقدسة في الحجاز؛ واحدة من مصر، والأخرى من الشام؛ وهي "قافلة الحج الشاميّ"ـ وقد أدت قافلةُ الحج الشاميِّ دوراً مُهمّاً في تاريخ دمشق وبلاد الشام عامة، من النواحي: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والدينية؛ حيث أولَتْها الدولةُ العثمانية - منذ دخولِـها بلادَ الشام عام (٩٢٢هـ/١٥١٦م) - جُلَّ اهتمامِها، وبخاصة: بعد أن تلقَّب السلطان العثماني بـــ: "حامِي الحرمين الشريفين" أو "خادم الحرمين الشريفين"، مما يُوجِب عليه تأمينَ سلامة الحجاج.

وقد اشتملت الدراسة على: مقدمةٍ، وتمهيد، وأربعةِ فصول، وخاتمةٍ، إضافةً إلى: مُلْحق، وقائمةِ مصادرَ ومراجع.

وجاء التمهيد بعنوان: **"منازل طريق الحج الشاميّ من الشام إلى الأراضي المقدسة "**؛ حيث تحدثتُ فيه عن: منازل طريق الحج الشامي منذ انطلاقه من دمشق، مروراً بالأراضي الأردنية، ووصُولا إلى الأراضي المقدسة؛ مكة المكرمة، والمدينة المنورة.

وتحدثت في **الفصل الأول** عن: **"مَحْمَل الحج الشاميّ"**، والهيئةِ الإدارية والمالية والعسكرية والدينية لقافلة الحج الشامي،

أما الفصل الثاني فخصصتة عن **وسائلِ نقل الحجاج، وأحمالِ القافلة**، وتكاليفِ الحج، وكيف كانت تختلف بحسب اختلاف وسائل النقل والخدمات المقدمة لكل حاج. كما تطرقت إلى أعداد الحجاج؛ حيث اختلفت أعدادُهم من فترة إلى أخرى، وأحياناً من سَنَةٍ لأخرى.

وتناولْتُ في **الفصل الثالث: ترتيباتِ تسْيِيرِ القافلة**، وكيف يبدأ تجمُّع الحجاج في دمشق، ثم الأعمال التي يقوم بها أميرُ الحج قبل حلول موسم الحج؛ مثل: "الدّورة"، ووصول موكب أمين "الصّرّة"، والاحتفالات التي تقام له. ثم تطرقت إلى مراسم الاحتفال بالقافلة؛ حيث شملت: موكب الزيت والشموع، وموكب المحمل والصنجق، وموكب القافلة نفسِها. ثم ختمتُ الفصل بترتيبات استقبال القافلة؛ حيث قسمتُها إلى قسمين؛ الأول: عند دخولها مكةَ، وثانيها: عند عودتها إلى دمشق.

وخصَصْتُ **الفصلَ الرابع** للحديث عن: **مصادر تمويل القافلة، ونفقاتها**؛ حيث تنوعَت مصادر التمويل، فكان منها: "مال الْمِيري"، و"مال البدل"، و"قافلة الْـــجردة، والصرة، والدورة". ثم تحدثت عن نفقات القافلة، وكيف أن الدولة العثمانية أولَتْ عناية كبيرة لقافلة الحج الشامي من الناحية المالية، سواء في استئجار الجِمال، أو استئجار القوات العسكرية المرافقة للقافلة. وأخيراً: تحدثت عن مردود القافلة على المنطقة اقتصادياً، وكيف أصبحت قافلةُ الحج الشامي عاملًا رئيساً من عوامل ازدهار المدينة ونموِّها؛ اقتصادياً، وديمغرافياً.

وبَـــحَث **الفصلُ الخامس في: العقبات والصعوبات** التي واجَهت قافلة الحج الشامي، وأثرِها في التنظيمات الإدارية والمالية للقافلة، حيث قسّمتها إلى قسمين؛ أولهما: العقبات والصعوبات الأمنية التي تتمثل في هجمات القبائل البدوية على القافلة، وثانيهما: العقبات والصعوبات الطبيعية المتمثلة في الأمطار والسيول والعواصف والأمراض. ثم تحدثت عن جهود الدولة في توفير الأمن على طريق الحج الشامي، وأثرِ هذه العقبات والصعوبات في تنظيم القافلة؛ إدارياً، ومالياً.

وتوصلَتْ الدراسة إلى مجموعة من **النتائج**؛ منها:

* أنّ خطَّ سيرِ قافلةِ الحج الشامي - منذ بداية العهد العثماني-؛ أصبح شبهَ محدود.

* أنّ الدولةَ العثمانية أولَت اهتماماً بالغاً بقافلة الحج الشامي، وذلك بتقديمها العونَ للحجاج في طريق الذهاب والإياب، وبتوفير الحماية الإدارية والعسكرية لهم، وعدمِ تغاضِيها عن اعتداءات القبائل البدوية على القافلة، وذلك للمحافظة على سمعة السلطان العثماني كحَامٍ للحرمين الشريفين.

* أنّ قافلة الحج الشامي أصبحت وسيلةً من وسائل التبادل التجاري؛ ما بين الشام والحجاز، إذ إنه عن طريق القافلة؛ كان يتمُّ تبادلُ عديدٍ من السلع التجارية، مما كان له تأثيرٌ كبيرٌ في حياة دمشق الاقتصادية.

الإهداء

إلى أمـــي وأبـــي

إلى زوجـــــــي

إلى أخـــي وأخـــــواتي

إلى طلاب العلـــم في كل زمـــان ومكـــان

إليهم جميعـــا أهدي هذه الرســــالة .

الشكر والتقدير

بعـــد حمـــد الله وشكـــره الذي وفقـــني في كتابـــة هـــذا البحث.

أتقدم بالشكر الجزيـــل إلى والديَّ الكريمين أطـــال الله عمرهما، اللذين مافتئ كلٌّ منهما يحثني على الاستزادة من طلب العلـــم منذ سني عمـــري الأولى، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

وإنه ليطيب لي في هذا المقام أن أتوجه بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى أستـــاذي الكريم الدكتور أحمـــد بن حامد القضاة المشرف على هذه الرســـالة لحسن معاملته وكريم شمائله، حيث كان مرشـــدا وموجها ونعم العون لي بعد الله تعالى في تجـــاوز الكثير من إشكالات البحث، فمنحني من علمـــه ووقته وكتبـــه الشيء الكثير فأســـال الله أن يجزيه عني خير الجزاء وأن يجعل ذلك في ميزان حسنانه .

كما اتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقبول مناقشة الرسالة وجزاهم الله عني كل خير.

كذلك أتوجه بالشكر الجزيـــل لجـــامعة القصيم ممثلة بعمادة الدراسات العليـــا وكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية ــ على إتاحة الفرصة لي لمواصلة الدراسات العليا .

والشكر موصول لجميع الأســـاتذة الأفاضل أعضاء هيئة التدريس بقسم التـــاريخ فقد كانوا أخوة ومربين ومرشدين فلهم مني جزيل الشكر والثناء .

كما أشكر أيضا كل من وقف إلى جانبي خلال فترة البحث، وأخص بالذكر زوجي وأخواني وأخواتي الأعزاء لتشجيعهم ودعمهم لي طيلة العمل في هذه الرسالة فلهم جزيل الشكر .

الباحثة

قائمة المختصرات

الكلمـــة	المختصر
الجزء	ج
الطبعة	ط
دون تاريخ نشر	د.ت
دون طبعة	د.ط
دون مكان نشر	د.م
مجلد	م
Page	p

المقدمـــة

المقدمـــة

التعريف بالموضوع:

بسم الله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعـد ،،

يقول الله تعالى "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ (آل عمران)

لهذا النداء الرباني حف المسلم هذا الركن من أركان الإسلام بكل مظاهر الإجلال والعناية والاهتمام في حياته، لذلك كانت قوافل الحج تخرج من بلاد الإسلام تلبي نداء ربها بالذهاب إلى البيت العتيق من كل فج.

ففي السنة التاسعة للهجرة عام ٦٣١م خرجت أول قافلة للحج في الإسلام تحت إمرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم تعاقبت السنون واستقر تقليد خروج قوافل الحج سنويا من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة فمنى فعرفات فمزدلفة ، ثم تعود أدراجها إلى المدينة بعد تمام الحج، ولم تمض سنوات على وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذ الإسلام ينتشر خارج حدود شبه جزيرة العرب فامتد إلى بلاد الشام وبلاد الرافدين ومصر وشمال أفريقيا وغير ذلك من الأقاليم التي وصلتها الفتوحات العربية، وأصبح لزاما على شعوب تلك الديار التي دخل معظمها الدين الإسلامي تأدية ما عليها من واجب نحو الركن الخامس من أركان الإسلام، فنشأت مراكز جديدة إلى جانب المدينة المنورة ومن هذه المراكز دمشق والكوفة وبغداد

والفسطاط ثم القاهرة وتونس لتجمع الحجيج وانطلاق قوافلهم التي كانت تتشكل سنويا في تلك المراكز في طريقها لأداء فريضة الحج .

شهدت العصور الإسلامية المتنوعة العديد من القوافل وذلك في العهد الأموي والعباسي والفاطمي والأيوبي والمملوكي والعثماني إلا أنها لقيت اهتماما بالغا في العهد العثماني تحديدا، حيث حرص السلطان العثماني على أن يطلق على نفسه لقب " خادم الحرمين الشريفين " أكثر من حرصه على لقب سلطان لهذا نظم السلاطين قوافل الحج تقربا لله عز وجل وقسموها إلى عدة قوافل منها ـ قافلة الحج الشامي ـ التي اخترت أن تكون موضوع هذه الدراسة التي جاءت بعنوان:التنظيمات الإدارية والمالية لقافلة الحج الشامي (١٠٤٤- ١١٧٠هـ/ ١٦٣٥-١٧٥٧م).

أما الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع فهي: عدم وجود دراسة علمية متخصصة تهتم بالتنظيمات الإدارية والمالية لقافلة الحج الشامي خلال فترة الدراسة. والرغبة في الكشف عن التطورات التي طرأت على قافلة الحج الشامي خلال فترة الدراسة من تغير قيادة القافلة، ومراسم استقبالها وتوديعها. أيضا إبراز جهود الدولة العثمانية في تنظيم وتمويل وحماية القافلة والكشف عن مواقف القبائل البدوية منها. و إبراز دور موظفي القافلة في إدارتها.

ووقع اختياري على عام١٠٤٤هـ/١٦٣٥م بداية لموضوع الدراسة نظراً لتغير إمارة قافلة الحج الشامي بتعيين انكشارية دمشق أمراء على القافلة، واخترت عام (١١٧٠هـ/١٧٥٧م) نهاية للدراسة إذ عجز أمراء قافلة الحج عن حمايتها مما أدى إلى القضاء على القافلة في هذه السنة عندما هاجمها بنو صخر لرفض أمير القافلة والي دمشق حسين باشا مكي دفعَ مخصصاتهم في الصرة العثمانية، وأخذت الدولة العثمانية تحرص بعد ذلك على أمن القافلة بتوفير الحماية لها من اعتداءات القبائل البدوية الواقعة على طريق القافلة.

وهدفت الدراسة إلى تتبع منازل طرق قافلة الحج الشامي في رحلتها إلى الديار المقدسة، وإبراز الجهود المبذولة من قبل الدولة العثمانية لتنظيم وإدارة القافلة والتعرف على العادات والتقاليد والاحتفالات المصاحبة لقافلة الحج عند توديعها واستقبالها، كما تهدف أيضا إلى التعرف على موظفي القافلة ودورهم في إدارتها، وتوضيح أبرز العقبات والصعوبات التي تواجه القافلة في طريقها للاراضي المقدسة.

خطة الدراسة .

اقتضت طبيعة هذا البحث بناءً على ما توفر لدي من مادة علمية تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة إضافة إلى الملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

فالمقدمة تضمنت تعريفا بالموضوع وبيانا لأهميته وأهدافه وخطته، مع ذكر الدواعي التي أدت إلى اختياره ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة للموضوع، وأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

وفي التمهيد تحدثت عن **منازل طريق الحج الشامي** من انطلاق قافلة الحج من دمشق مرورا بالأراضي الاردنية وصولا إلى الأراضي المقدسة المدينة المنورة ومكة المكرمة.

أما الفصل الأول المعنون بتكوين القافلة فقد تحدثت فيه عن المحمل من حيث تعريفه، ونشأته ووصفه وكيفية اهتمام العثمانيين به والاحتفالات التي تقام له إذ يقام له احتفالان: الأول في دمشق والثاني عند طلوع المحمل من دمشق إلى الحجاز مابين الخامس عشر والسابع عشر من شوال.كما تطرق الفصل إلى ادارة القافلة المتمثله بأمير الحج ودوادار أمير الحج وأمير الجردة . وموظفي القافلة مثل أمير الركب والكتخدا وقاضي القافلة والمفتي وشهود المحمل الشريف والميقاتي والمؤذن وكاتب الصرة وأمين الصرة وصراف الصرة. والجمّالين والمقومين والعكامة والجوخدار والمهاترة والشيالين والسقائين والمشعلجية والمزيرباتية والخيمي.

اما **الفصل الثاني المعنون بوسائل نقل الحجاج وأحمال القافلة** فقد تحدثت فيه عن وسائل نقل الحجاج، وفي أقسام الجمال في قافلة الحج الشامي من حيث: تخصصها إذ كانت هناك جمال المحمل وجمال الركوب وجمال الحمل وجمال السحابة. كما تحدثت عن أحمال القافلة وتكاليف الحج، وتطرقت أيضا إلى أعداد الحجاج إذ اختلفت أعدادهم من فترة إلى أخرى وأحيانا من سنة لأخرى .

وتناولت في **الفصل الثالث المعنون بترتيبات تسيير القافلة واستقبالها**: ترتيبات تسير القافلة وكيف يبدأ تجمع الحجاج في دمشق ثم الأعمال التي يقوم بها أمير الحج قبل حلول موسم الحج مثل: الدورة ووصول موكب أمين الصرة والاحتفالات التي تقام له. ثم تطرقت إلى مراسم الاحتفال بالقافلة إذ شملت موكب الزيت والشموع وموكب المحمل والسنجق وموكب القافلة نفسها. ثم ختمت الفصل بترتيبات استقبال القافلة حيث قسمتها إلى قسمين: أولا عند دخولها مكة وثانيا عند عودتها إلى دمشق .

وخصصت **الفصل الرابع المعنون بمصادر تمويل القافلة ونفقاتها**: لمصادر تمويل القافلة ونفقاتها حيث تنوعت مصادر التمويل فكان منها مال الميري ومال البدل وقافلة الجردة والصرة والدورة. ثم تحدثت عن نفقات القافلة وعناية الدولة العثمانية الكبيرة بقافلة الحج الشامي من الناحية المالية سواء في استئجار الجمال أو استئجار القوات العسكرية المرافقة للقافلة. وأخيرا تحدثت عن مردود القافلة على المنطقة اقتصاديا، وكيف أصبحت قافلة الحج الشامي عاملا رئيسيا من عوامل ازدهار المدينة ونموها اقتصاديا وديمغرافيا .

وبحثت في **الفصل الخامس المعنون بالعقبات والصعوبات التي تواجه قافلة الحج الشامي وأثرها في التنظيمات الإدارية والمالية للقافلة** : في العقبات والصعوبات الأمنية التي تتمثل في هجمات القبائل البدوية على القافلة والعقبات والصعوبات الطبيعية المتمثلة في

الأمطار والسيول والعواصف. ثم تحدثت عن جهود الدولة في توفير الأمن على طريق الحج الشامي، وعن أثر هذه العقبات والصعوبات في تنظيم القافلة إداريا وماليا .

ثم عرضت في الخاتمة أهم نتائج الدراسة.

منهج البحث .

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي القائم على دراسة الوثائق والمصادر والمراجع التاريخية، وجمع المادة العلمية منها وترتيبها وتصنيفها ثم تحليلها، ثم إعادة صياغتها من جديد حتى خرجت الدراسة بصورتها النهائية بما تتوافق مع الحقيقة التاريخية والأمانة العلمية .

ولم يخل الطريق من صعوبات واجهتني ، وقد تمثلت في قلة الوثائق العثمانية المتعلقة بقافلة الحج الشامي خلال فترة الدراسة، وحاولت الباحثة التغلب على هذه الصعوبة من خلال الاعتماد على المصادر المحلية المعاصرة لفترة الدراسة إلى جانب العديد من الرحلات التي تحدثت عن قافلة الحج الشامي خلال فترة الدراسة.

الدراسات السابقة .

لعل من أهم وأبرز الدراسات التي تضمنت أجزاء من عناصر الموضوع دراسة الأستاذ مأمون أصلان بني يونس التي جاءت بعنوان (قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن في العهد العثماني ١٥١٦- ١٩١٨م) ، عمان ، وزارة الثقافة ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م. حيث تناولت الدراسة أهمية قافلة الحج الشامي وطريق القافلة عبر شرقي الأردن وقيادة القافلة وظروف تبدل قيادتها من القرن السادس عشر وحتى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، كما تحدثت عن

أثر القافلة اقتصاديا وإداريا واجتماعيا على شرقي الأردن وتطرقت إلى خط سكة الحديد الحجازي من حيث النشأة والأهمية .

أهم مصادر الدراسة .

اعتمدت الدراسة على مجموعة من الوثائق والمصادر ومنها:

١. **الوثائق العثمانية** المحفوظة في دارة الملك عبدالعزيز والتي كشفت لنا عن مظاهر اهتمام السلاطين العثمانيين بقافلة الحج الشامي، من خلال توفير الحماية لها، ومتابعة أخبارها وعن حرصهم على ارسال الاموال السنوية(الصرة) للحرمين الشريفين مع قافلة الحج الشامي.

٢. **أحمد البديري الحلاق : حوادث دمشق اليومية ١١٥٤-١١٧٥هـ/ ١٧٤١-١٧٦٢م**. إذ صور لنا المؤلف الحياة اليومية في دمشق خلال إحدى وعشرين سنة من أواسط القرن الثاني الهجري / الثامن عشر الميلادي ، واهتم بتدوين ما يجري في دمشق من تولي الباشوات وأصحاب المناصب وعزلهم ومصادرة أموالهم وأنباء قافلة الحج حين طلوعها وعودتها وما يجري لها في الطريق من اعتداءات القبائل البدوية والعقبات الطبيعية. حيث أفادت الدراسة في ذكره أنباء قافلة الحج كل عام .

٣. **عبد القادر بن محمد الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة** . كتاب في جزأين تناول فيه المؤلف أخبار من تولوا إمارة الحج منذ العصر الإسلامي حتى الخمسينيات من القرن السادس عشر، كذلك تعرض للمناصب التابعة لإمارة الحج كما أعطى وصفا تفصيليا لمنازل الحج منزلا بمنزل ومنهلا بمنهل

والتي شاهدها بنفسه وما كان يحدث فيها من اعتداءات القبائل البدوية على قافلة الحج ، وذكر طوائف العربان وحدودها إذ يعتبر مصدرا للباحثين في معرفه انتماءات بعض القبائل، هذا إضافة إلى وصفه لخروج القافلة وكيفية ترتيبها والموظفين والجمال المصاحبين لها ، وفي الحقيقة كانت كتابته على درجة كبيرة من الأهمية لاسيما أن الجزيري خرج في معظم حياته للحج فكان بمثابة الرحالة الذي يدون كل ما شاهده من أحداث .

٤. **منير كيال: محمل الحج الشامي**، من المراجع الحديثة التي أمدت الدراسة بكثير من المعلومات إذ استعرض لنا الكاتب قافلة الحج الشامي وخصص فصلا من فصول الكتاب التي بلغت أربعة عشر فصلا عن المحمل ثم تحدث عن إمارة الحج ومكونات القافلة وطرق الحج ، إلا أن الكاتب لم يكن يوثق معلوماته بشكل كبير في حين ذكر في المقدمة أنه خاض في أمهات نفائس الكتب والحوليات واليوميات التاريخية حتى أصبح لدية كمٌّ ضخم من المصادر والمراجع والأبحاث .

٥. **عبد الكريم رافق :قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني**: كان لهذا البحث دور هام في الدراسة إذ تحدث عن تشكيل القافلة وتمويلها وكيفية نقل الحجاج وبين أهمية قافلة الحج الشامي من الناحية الدينية والسياسية والتجارية والاقتصادية والثقافية بشكل مختصر.

وفي ختام هذه المقدمة أحمد الله تعالى أن منّ عليّ بنعم عديدة لا تعد ولا تحصى ومنها سلوك طريق العلم في مجال التاريخ الحديث ، كما أرجو أن تكون هذه الرسالة قد قدمت الجديد للقارئ الكريم .

الباحثة .

التمهيـد

منـازل طريق الحج الشـامي من الشام

إلى الأراضي المقدسة

منازل طريق الحج الشامي من الشام إلى الأراضي المقدسة:

كانت طرق الحج ولا تزال شرايين الاتصال التي تساعد على ربط أقاليم الدولة الإسلامية في جميع الفترات التاريخية المتعاقبة وذلك للوصول إلى الحرمين الشريفين ، ومن هنا اهتم سلاطين الدولة العثمانية بطريق الحج الشامي، وتركوا لنا آثارا مادية تدل على مدى ما بلغته عنايتهم بتسهيلها، تيسيرا وخدمةً لحجاج وعُمّار بيت الله الحرام ولزوّار المسجد النبوي الشريف وطلبا للأجر والثواب .

فطريق الحج الشامي هو الطريق الذي تسلكه قوافل الحجاج المسلمين القادمة من دمشق إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وهؤلاء الحجاج ليسوا من دمشق وحدها ولا من سورية وحدها ولكن لأهمية موقعها كأكبر مدينة على حافة الصحراء السورية الحجازية وعلى أقصر طريق من الأستانة إلى الحرمين الشريفين أصبحت دمشق مركزا يجتمع فيه الحجاج من فلسطين ولبنان وتركيا وتركستان والأناضول وغيرها من المناطق الشمالية (١) ويكاد يكون ذلك الطريق شبه ثابت المعالم إذ يتألف من عدة منازل (محطات) يتوقف فيها الحجاج للراحة أو للتزود بالماء أو المؤن(٢).

وقد تعددت المصادر التي أوردت منازل طريق الحج الشامي خلال العهود الإسلامية وهي تكاد تكون أقرب إلى التطابق. ولئن كان هناك تفاوت أو اختلاف في عدد هذه المنازل أو

---

(١)الحلاق :أحمد البديري ، حوادث دمشق اليومية ١١٥٤-١١٧٥هـ/ ١٧٤١- ١٧٦٢م ، تحقيق : أحمد عزت عبد الكريم،(القاهرة :مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، د.ت)، ص ٤٧؛ الكلابي : حياة بنت عبد الله حسين ، النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي بشمال غرب المملكة العربية السعودية من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري (الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ،١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م)، ص ٩.

(٢)كيال : منير ، محمل الحج الشامي ، دراسة وثائقية ، (دمشق : وزارة الثقافة ،١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م)، ص١٣٩؛ شاهين : عزة بنت عبد الرحيم محمد ، خدمات الحج في الحجاز خلال العصر العثماني ، (القاهرة : دار القاهرة ،١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م)، ص١٦٨.

مسمياتها بين مصدر وآخر فإن ذلك يعود لظروف طبيعية من حرّ وقرّ وأمطار و سيول أو للظروف الأمنية المتمثلة في تربص الأعراب للركب مما قد ينجم عنه طول أو زيادة عدد هذه المنازل أو اختصارها[١].

وقد أشير إلى الطريق الرئيس الذي تسلكه قافلة الحج الشامي من دمشق إلى الحجاز (بالطريق السلطاني)[٢] حيث وصف هذا الطريق بأنه الأقصر والأشد خطرا من ناحية اعتداءات البدو [٣] ويبدأ من دمشق (قبة الحاج)[٤] التي تعد نقطة البدء للقافلة ومنها يتجه نحو الكسوة [٥] وهي أول منزل تنزله القافلة إذا خرجت من دمشق إلى الحجاز[٦] وتبلغ المسافة بينها وبين دمشق ٢٠ كيلو مترا[٧] يمكث فيها الحجاج يومين حتى يكتمل شمل القافلة [٨] ثم يتجه الطريق

---

(١)كيال ، محمل الحج الشامي ، ص١٤٠.

(٢)رافق : عبد الكريم ، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني،مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ،(العدد ٦ ، ذو الحجة ، ١٤٠١هـ/تشرين أول ١٩٨١م)،ص ١٧.

(٣)بني يونس: مأمون أصلان ، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن في العهد العثماني١٥١٦-١٩١٨م (عمان : وزارة الثقافة ،١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م) ،ص٧٢.

(٤) قبة الحاج : عبارة عن جامع سقفه على شكل قبة كان الحجاج يصلون إليه بعد خروجهم من باب الله أو بوابة الموت كما كانت تسمى لأن عددا كبيرا من الخارجين منها قد لا يعودون ، وكان الحجاج يسيرون جنوبا لمدة ساعة في طريق عرضه ١٥٠ خطوة محاطٍ بأشجار الزيتون على جانبيه حتى يصلوا إليه وهناك يقوم الوالي باستعراض قواته في الليلة الأولى لانطلاق الركب . العبد : حسن آغا ، تاريخ حسن آغا العبد ، حوادث بلاد الشام والإمبراطورية العثمانية ١٧٧١-١٨٢٦م، تحقيق: يوسف جميل نعيسة، (دمشق : دار دمشق للطباعة ،١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص ١٥.

(٥)الكسوة :هي بلدة قديمة تقع في شمال نهر الأعوج وجنوب جبل المضيع ولازالت تحمل اسمها حتى الآن . بكر: سيد عبد المجيد ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، (المملكة العربية السعودية : تهامة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ص ١٨٢.

(٦)درادكه: صالح موسى ، طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية ، (عمان :الجامعة الأردنية ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص ٨١.

(٧)جلال : آمنه حسين محمد علي ، طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العهد المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ، رسالة دكتوراه غير منشورة، (مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ص ٩٧.

(٨) المرجع نفسه.

إلى الجنوب ليصل إلى خان دنون [1] ، وتبعد عن الكسوة بحوالي ٢كيلو متراً تقضي فيها القافلة ليلتها الثانية بعد خروجها من دمشق[2].

ثم يواصل الطريق سيره نحو الجنوب بانحراف قليل نحو شرقي الجنوب الشرقي فيخترق أرض الوعرة وأرض السلطانة وأرض البعل[3] حتى يصل إلى الصنمين إحدى قرى حوران وهي من المنازل الرئيسية على طريق الحج الشامي[4] ثم يمتد الطريق باتجاه الجنوب حتى يصل إلى المزيريب وهي من منازل الحج أرضها غنية بالمياه حيث تقع على نهر عويرض أحد فروع نهر اليرموك وتوجد بها بحيرة تدعى (البجه) يمكث الحجاج فيها إلى آخر شوال ويتراوح بقاء الحجاج فيها من ثمانية أيام إلى خمسة عشر يوما ، وبها سوق كبير يتزود منه الحجاج بكل ما يلزمهم خلال رحلتهم الطويلة [5] وتبعد عن دمشق بحوالي ١٠٣كيلو متراً جنوبا. وبعد المزيريب يتجه الطريق إلى الجنوب الشرقي ليصل إلى درعا[6] .وأوردت بعض المصادر الجغرافية المتأخرة اسم

---

(١)ذكرها الموسوي في كتابه (رحلة الشتاء والصيف) خان ذي النون . والزياني في الترجمانة الكبرى (ذي النون) وتعرف الآن (بخبارة دنون). وتقع على وادي العرام ، بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص١٨٣ ؛ درادكه ، طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية ، ص ٨٢.

(٢)الغنيمي : مازن يوسف ، دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق مخطوط النفح الفرجي في الفتح الجته جي ، رسالة ماجستير – غير منشورة – (دمشق : جامعة دمشق ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص١١٢.

(٣)بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٨٣.

(٤)حياة ،النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي ، ص١٧.

(٥)العبد ،حوادث بلاد الشام والإمبراطورية العثمانية ،ص ٨ ؛ درادكه ، طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية ، ص ٨٣.

(٦)درعا : تقع على وادي الزيدي قرب التقائه بوادي الذهب وهي جزء من إقليم حوران وتبعد درعا عن دمشق ١٢٣كيلو متراً وقد أطلقت المصادر الجغرافية العربية عليها اسم (ذات المنازل) لأهميتها. درادكه ، طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية ، ص ٨٤– ٨٥.

بصرى[1] كمنزل للحجاج بعد درعا كما ذكرت صلخد[2] كإحدى منازل الحج على الحدود السورية الأردنية[3].

وبناءً على ما تقدم كانت كلٌّ من درعا والمزيريب وبصرى وصلخد منازل تخرج منها القافلة الشامية إلى الاراضي الأردنية وهذه المخارج المتعددة تبين أنه لم يكن هنالك طريق واحد ثابت تسلكه القافلة اثناء دخولها الأراضي الأردنية.

ثم يكمل الحاج مساره عبر الاراضي الأردنية إلى أن يصل إلى الحدود الحجازية الأردنية فيصل إلى المفرق[4] وتقدر المسافة بينها وبين دمشق ١٦٥ كيلو متراً و تبعد عن درعا ٣٩ كيلو متراً [5] وبعد المفرق يتجه الطريق إلى الجنوب ليقطع العديد من الأودية حتى يصل إلى الزرقاء[6] وتبعد عن المفرق ٤١ كيلو مترا وعن دمشق ٢٠٣ كيلو مترا[7] ، وهي منطقه خصبة ذات أشجار كثيرة [8] ثم يمتد الطريق

(١) بصرى: مدينة قديمة تعود شهرتها إلى العهد الروماني إذ كانت عاصمة الولايات العربية ، وتقع على وادي زيدي ووادي البطم الذين يرفدان اليرموك . درادكه، طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية ، ص ٨٥.

(٢) صلخد : تقع إلى الشرق من بصرى وهي موغلة في البادية . المرجع نفسه ، ص ٨٦.

(٣)درادكه، طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية، ص ٨٧-٨٩.

(٤)المفرق : سميت بذلك لأن الحجاج إذا رجعوا تفرقوا منها . فالمفرق مجمع لعدة طرق منها إلى الزرقاء ومنها إلى جرش ومنها إلى إربد ومنها إلى درعا . الموسوي :محمد بن عبد الله الحسيني ، الشهير بـ "كبريت" ، رحلة الشتاء والصيف ، تحقيق : محمد سعيد الطنطاوي ، ط٢ ، (بيروت : المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)، ص ٢٣١ ؛ بني يونس، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن، ص ٧٧.

(٥)درادكه ، طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية ، ص ٩٧.

(٦)الزرقاء: من منازل الحج الشامي تقع إلى الشرق من عمّان . وصفها الموسوي بأنها وادٍ من أعمال عمّان فيه نهر عظيم وينبت فيه القصب الفارسي . ويوجد بها قصر شبيب على التل .الموسوي ، رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٣٢ ؛ درادكه ، طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية ، ص ١١٧ ؛ السرياني : محمد محمود ، منازل الحج الشامي في الأردن . دراسة في الجغرافيا التاريخية ، الدارة ، (العدد ١ ، السنة ٣، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م)، ص ١٣.

(٧)بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٨٦.

(٨)درادكه ، طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية ، ص ١١٧.

إلى خان الزبيب [1] وفيها قلعه أقامتها الدولة العثمانية تعرف بقلعة خان الزبيب [2] وتقع عند دائرة عرض ٢٩- ٣١ شمالا وخط طول ٦- ٣٦° شرقا ويصلها الطريق بانحراف قليل نحو غربي الجنوب الشرقي[3] وكان الحجاج يحرصون على السير بالنهار في الطريق الواصل بين الزرقاء وخان الزبيب لأن الطريق ذات حجارة كثيرة وصعود وهبوط، ففيه مشقة على الإبل ولاسيما بالليل[4] ثم يواصل الطريق سيره حتى يصل إلى البلقاء إحدى منازل طريق الحج الشامي وصفها الخياري المدني بأنها "منزلٌ متسعا سائغا عذبا هواؤه ليس به شي من الماء" [5].

ثم يمر الطريق بالقطرانة وهي المنزلة التالية بعد البلقاء وتقع جنوب عمّان قرب دائرة عرض ١٥- ٣١° شمالا وخط طول ٢- ٣٦° شرقا على وادي الحفيرة[6] بني فيها قلعة القطرانة بأمر من السلطان سليمان القانوني[7] سنة ٩٦٨ هـ/١٥٥٩ م لحماية الحجاج من إعتداءات

---

(١)خان الزبيب: يقع إلى الغرب من القطرانة وبه مسجد وخان أمويان.الحصان: عبد القادر، القلاع والخانات التركية على طريق الحاج الشامية في الديار الأردنية، دراسات وبحوث ميدانية آثارية ومعمارية، (عمان: وزارة الثقافة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م)،ص١٢١.

(٢)السرياني ، منازل الحج الشامي في الأردن، ص ١٤٦.

(٣)بني يونس، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن، ص ٨٠.

(٤)المكناسي: محمد بن عبد الوهاب، رحلة المكناسي احراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب، ١٨٧٥م، حققها وقدم لها: محمد بوكبوط، (أبوظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)،ص٢٥١.

(٥)الخياري المدني : ابراهيم بن عبد الرحمن ، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء ، تحقيق : رجاء محمود السامرائي ، ج ١ ، (بغداد : وزارة الثقافة والإعلام ، د.ت)، ص ٨٦.

(٦)بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٨٩.

(٧) هو سليمان خان الأول القانوني الملقب بالغازي . ولد في شعبان عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م . وهو عاشر ملوك ال عثمان كانت مدة حكمة ثمانية وأربعون سنه قضاها في توسيع نطاق الدولة وإعلاء شأنها حتى بلغت في أيامه أعلى درجات الكمال . توفي في ٢٠ صفر من عام ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م . المحامي : محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق : إحسان حقي ، (بيروت : دار النفائس ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ، ص ١٩٨-٢٥١.

البدو عليهم[١] ، وبعد القطرانة يتجة الطريق نحو الجنوب إلى الحسا [٢] وتقدر المسافة بينها وبين القطرانة ٥٢ كيلو متراً وعن عمّان ١٢٤ كيلو متراً [٣] ثم يتجه الطريق نحو الجنوب ليصل إلى عنيزة[٤] والتي تبعد عن الحسا ٤٥ كيلو متراً وتقع قرب دائرة عرض ٣٠ -٣٠° شمالا وخط طول ٥٢- ٣٥° شرقا [٥] وقد وصفها الموسوي في رحلته بأنها منطقة ذات برد شديد وبها خان قديم[٦] وبعد عنيزة يتجه الطريق إلى الجنوب فيمر بعدة أودية . ثم يستمر الطريق في التقدم نحو الجنوب ليصل إلى معان[٧] وهي إحدى منازل الحج الشامي تبعد عن دمشق ٤٥٩ كيلو متراً وعن عمّان ١٣٧ كيلو متراً وتقع قرب دائرة عرض ١٢- ٣٠° شمالا وخط طول ٤٤- ٣٥° شرقا[٨] ثم يسير الطريق إلى الجنوب ليصل إلى محطة الشيديه وتبعد عن معان ٢٨ كيلو متراً ثم يواصل الطريق سيره جنوبا إلى وادي فصوعه [٩] ثم يمر بمناطق جبلية إلى أن يصل

---

(١)الحمود: نوفان رجا ، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، (بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م) ، ص ٤٨.

(٢)الحسا :تقع في الجنوب الشرقي من محافظة الكرك، وفيها قلعة مملوكية قام العثمانيون بترميمها وصيانتها وشحنها بالعتاد لحماية قافلة الحج ، السرياني ، منازل الحج الشامي في الأردن، ص ١٤٨.

(٣)بني يونس، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن، ص ٨٣.

(٤)عنيزة : أرض سوداء فيها خان حرب وسميت عنزة باسم عشيرة من الأعراب وهي مفازة بلا ماء، وهي تقع جنوب الاردن من قرى لواء الحسينية في معان ، درادكه ، طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية ، ص ١٥٨.

(٥)بني يونس، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن، ص ٨٤.

(٦)الموسوي ، رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٣٢.

(٧)معان : تقع جنوب الأردن، وهي مدينة قديمة عرفها العرب منذ الجاهلية تقع في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء ، الحموي: ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان،ج٥، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص ١٥٣ ؛ مالكي : سليمان عبد الغني ، ، طرق حجاج الشام ومصر منذ الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن السابع الهجري ، الدارة ،(العدد ١ ، السنة ١٠ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ، ص ٩.

(٨)المكناسي، رحلة المكناسي، ص٢٥٣؛ بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٩١- ١٩٢.

(٩)درادكه ، طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية ، ص ١٨٤.

إلى بطن الغول[١] إحدى منازل طريق الحج الشامي وتبعد عن معان ٧١ كيلو متراً ثم يتابع الطريق مسيرته نحو الجنوب إلى أن يصل إلى منزل المدورة[٢] وتبعد عن معان ١٠٤ كيلو متراً وعن دمشق ٥٥٠ كيلو متراً وتقع عند دائرة عرض ١٠- ٢٩°شمالا وخط طول ٣٦° شرقا[٣].

بعد المدورة يسير الطريق باتجاه الجنوب ثم يميل قليلا إلى الشرق ويستمر إلى أن يصل إلى حالة عمّار[٤] وهي أول منازل طريق الحج الشامي في الأراضي الحجازية [٥] وهي أرض جدباء تتخللها الأودية والتلال وتقدر المسافة بينها وبين المدورة ٢٣ كيلو متراً ثم يتجه الطريق نحو الجنوب الشرقي فيصل إلى ذات الحاج[٦] وتبعد عن حالة عمّار ١٣ كيلو متراً وتقع عند دائرة عرض ٣- ٢٩° شمالا وخط طول ١٠ - ٣٦° شرقا[٧] وصفها السنوسي بأنها قلعة فيها عين جارية يجري ماؤها إلى بركة هناك بناها السلطان سليمان القانوني وحول تلك القلعة نخيل ذكر

---

(١)بطن الغول : ذكرها الموسوي كمحطة على طريق الحج الشامي حيث وصفها بأنها وادٍ كثير شجر الغضا والعبيثران الذكي . الموسوي ، رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٣٣.

(٢)المدورة : من منازل الحج الشامي . سميت أيضا بمنزلة جغيمان و تقع قي آخر بلاد الشام وأوائل الحجاز تبعد عن تبوك ١١٧ كيلو متر ، الغنيمي، دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق المخطوط ، ص ١١٣ ؛ كيال ، محمل الحج الشامي ، ص ١٤٤.

(٣)بني يونس، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن، ص ٩٠.

(٤)حالة عمّار: إحدى منازل طريق الحج الشامي تقع جنوب المدورة ويرجع سبب تسميتها إلى رجل اسمه عمّار كان يقيم في تلك الناحية ، كيال ، محمل الحج الشامي ، ص ١٤٥.

(٥)حياة ، النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي ، ص ١٩.

(٦)ذات الحاج : من منازل الحج الشامي، يرجع سبب تسميتها إلى الحاج وهو نوع من النباتات كانت تنبت في هذا الموضع ، الجاسر : حمد ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ،(الرياض : دار اليمامة ، د.ت)، ص ٣٦٩؛ المكناسي، رحلة المكناسي، ص٢٥٤.

(٧)بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٩٦.

لا تمر له[١] ثم يواصل الطريق مساره إلى الجنوب الشرقي ويمر بمناطق شبه منبسطة لا تعترضه أي عقبات جبلية ليصل الطريق إلى تبوك[٢] وهي المنزلة التالية لذات الحاج وتبعد عن دمشق ٦٩٢ كيلو متراً وعن الحدود الحجازية الأردنية ١٢٠ كيلو متراً تقريبا[٣] وبعد تبوك يتجه الطريق إلى الجنوب ليخترق أرضا منبسطة كثيرة الوديان مواصلاً سيره بانحراف قليل نحو الشرق ليصل إلى وادي الأخضر[٤] وهو واد فحل من أكبر أودية تبوك وسمي بالأخضر لأن نبات الرمّث [٥] يكسو أرضه فيجعله دائم الخضرة[٦]، كما يسمى أيضا بالأخيضر ويقع عند دائرة عرض ٦- ٢٨° شمالا وخط طول ١١- ٣٧° شرقا[٧] ثم يتابع الطريق سيره مع الوادي إلى أن يصل محطة الأسعد ثم يمر بمناطق وعرة التضاريس إلى أن يصل إلى قلعة المعظم وتبعد عن وادي الأخضر ٦٢ كيلو متراً وتقع عند دائرة عرض ٤٥- ٢٧° شمالا وخط طول ٣١- ٣٧°

---

(١)السنوسي : محمد عثمان ، في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج ، مجلة العرب ،(العدد ٣-٤ ، السنة ١٣ ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) ، ص ٣٠٥.

(٢)تبوك : هي محطة رئيسية نسب إليها الطريق في العصور الإسلامية فسمي بالتبوكية ، وقال الموسوي عنها وهي على النصف من طريق الشام وفيها عين ونخل وحائط وهي آخر غزوات النبي محمد صلى الله عليه وسلم وفيها بئر وشجر توت . الموسوي ، رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٣٥ ؛ حياة ، النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي ، ص ٢٠.

(٣)بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٩٨.

(٤)وادي الأخضر : من منازل الحج الشامي وصفه الموسوي بقوله " واد مثلث الجوانب في جنوبيه قلعة سليمانية بنيت بتاريخ ثمان وثلاثين وتسعمائة فيها عين تملا منها ثلاث برك" ، أما موسل فوصفه " بواد عميق تحف به المنحدرات العالية التي تغطيها الحمم البركانية "، الموسوي ، رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٣٥ ؛ موسل : لويس ، شمال الحجاز ، ترجمة : عبد المحسن الحسيني ، (الإسكندرية : مؤسسة الثقافة الجامعية للطبع والنشر ، د.ت) ، ص١٥٩.

(٥) نبات الرمّث : هي أشجار معمرة يتراوح ارتفاعها مابين ٥٥- ١٠٠ سم يبدأ تفرعها من عند القاعدة ، وهي ذات لون أخضر رصاصي وتعتبر من أشهر النباتات عند العرب وتنمو في الكثبان الرملية والسهول وأحيانا في المرتفعات . القحطاني : جابر بن سالم ، الرمّث يشفي من الزكام ويعد السكر لمستواه الطبيعي ، صحيفة الرياض الإلكترونية ، العدد ١٣٨٢٥ ، ٣/ ربيع الأخر /١٤٢٧هـ /٢/ مايو /٢٠٠٦م .

(٦)كيال ، محمل الحج الشامي ، ص ١٥٣.

(٧)بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٢٠١- ٢٠٢.

شرقا[1] ووصفها الخياري المدني برحلته بقوله: "واد عذب هواه حلو ماؤه متسعة أنحاؤه وجهاته تعذب لياليه وأيامه ، فكيف لحظاته وساعاته" وقد اشتمل على قلعة عظيمة محكمة البناء مبنية بالحجر المنحوت الأصفر المائل للحمرة بحيث يشبه الحجر الشميسي وهي أحجار يبني بها أهل مكة دورهم[2] وقال عنها الموسوي :"أتينا المعظم وهو واد فيه قلعة عثمانية عمرت سنة إحدى وثلاثين وألف غير أنه لم يكن بها ماء وقد أشرفت على الدمار وعند القلعة بركة عظيمة متسعة جدا يأتيها الماء من الأمطار"[3].

ثم يتابع الطريق سيره باتجاه الجنوب الشرقي ليقطع وادي مصول[4].ويصل إلى دار الحمراء [5] وتبعد عن قلعة المعظم ٥٨ كيلو متر وهي من أعلى المناطق التي تعترض طريق الحج في الأراضي الحجازية حيث يقدر ارتفاعها بـ (١١٠٣م) ، وفي الجنوب الغربي منها توجد الحمراء [6] ، ثم يواصل الطريق سيره إلى أن يصل إلى مدائن صالح [7] وتسمى أيضا (الحجر) وتقع في منتصف الطريق بين مكة ودمشق[8] وهي أرض رملية جافة ذات جبال منخفضة[9].

---

(١)بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٢٠١- ٢٠٢.

(٢)الخياري المدني ، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء ، ص ٤٧.

(٣)الموسوي ، رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٣٥.

(٤)درادكه ، طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية ، ص ٢٠١.

(٥)دار الحمراء : من منازل الحج الشامي . تعددت أسماؤها فسميت الأقيرع ومفارش الرز وقيل كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى أو على خسته ، الخياري المدني ، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء ، ص ٤٦.

(٦)بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٢٠٣.

(٧)مدائن صالح : وصفها ابن طولون بقوله " ورأيت بها عجائب منها رمل أصفر كالورس ومنها جبال فيها بيوت بأبواب صغار منحوتة بإتقان ومنها جبال صغار ليس بها شي منحوت " ، ابن طولون : محمد الحنفي ، البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي ، تحقيق : حمد الجاسر ، مجلة العرب ،(العدد ١١-١٢ ، جماد ألاولى / وثانيه / مايو – ويونيو السنة ١٠ ، ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م) ، ص ٨٨٢.

(٨)كيال ، محمل الحج الشامي ، ص ١٥٧.

(٩)جارشلي : اسماعيل حقي اوزون ، امراء مكة المكرمة في العهد العثماني ،ترجمة : خليل علي مراد ،(البصرة :مركز دراسات الخليج العربي ،١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ص ٨١.

ويستمر الطريق في سيره باتجاه الجنوب مخترقا في طريقه حرة العويرض[١] وهضبة حمر فبئر العـذيب [٢] ليصـل إلى العُـلا [٣] وهـي مـن المواقـع المرتبطـة بالمدينـة المنـورة [٤] تبعد عن دمشق ٩٨٠ كيلو متراً، وعن مدائن صالح ٣٥ كيلو متراً وتقع عند دائرة عرض ٣٠- ٢٦° شمالا وخط طول ٣٨°شرقا[٥]، وبعد العُلا يتجه الطريق إلى الجنوب الشرقي إلى أن يصل إلى سهل مطران [٦] ويقع على روافد وادي مطران على ارتفاع ٥٩٠ متراً وعند دائرة عرض ١٤- ٢٦° شمالا وخط طول- ٣٨° شرقا[٧] ثم يواصل الطريق سيره باتجاه الجنوب الشرقي واصلا قلعة الزمرد التي تبعد عن سهل مطران ٦ كيلو متراً [٨] ثم يسير الطريق إلى أن يصل إلى البئر الجديد وتقدر المسافة بين سهل مطران والبئر الجديد بـ ١٣ كيلو متر اً وتقع عند

(١) حرة العويرض : الحرة هي المناطق السود ذات الحجارة النخرة المحرقة بالنار ويظهر أنها تكونت بفعل البراكين وتكثر في الحجاز ، وحرة العويرض تقع إلى الغرب من طريق الحج الشامي الممتد من تبوك إلى العلا ويبلغ طولها أكثر من مئة ميل وعرضها يكاد يقرب من ذلك . عبد الجبار : عبد الله ، وخفاجي : محمد عبد المنعم ، قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي ، (القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ،١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م) ، ص ٢٧.

(٢)بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٢٠٦.

(٣)العُلا : هو اسم لموضع من ناحية وادي القرى بينها وبين الشام . نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقة إلى تبوك وبنى مكان مصلاه مسجد " ووصفه الخياري المدني بقوله: "منزل مُذكّر بآثار طيبة ، مثير ما أسكنه الوجد من الغيبة شاهدنا به النخل الباسقات والفواكة الطّيبات من العنب والبطيخ بنوعيه الأخضر والأصفر والليمون حامضه وحلوه ووجدنا به عين ماء عذبة حلوة". الخياري المدني ، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء ، ص ٤١.

(٤)جارشلي ، أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، ص ٨١.

(٥)بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٢٠٧- ٢٠٨ .

(٦)سهل المطران : يسمى أيضا - آبار الغنم- وطوامير - ذكره الموسوي (المطران) ووصفه بواد قفر ممحل ، الموسوي ، رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٣٨؛ رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١٧.

(٧)بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٢٠٨.

(٨)المرجع نفسه.

دائرة عرض ١-٦° شمالا وخط طول ٣٥- ٣٨° شرقا[١] وفي هذا الموضع بركه واسعة تسمى بركة البئر الجديد ماؤها مالح [٢] .

ثم يواصل الطريق سيره في الجنوب الشرقي فيصل إلى هديّه[٣] وتقع جنوب جبل جمله وإلى الشمال من جبل الثلوب ، عند دائرة عرض ٣٣- ٢٥° شمالا وخط طول ٤٤- ٣٨°شرقا [٤] وفيها قلعة قديمة [٥] ثم يعبر الطريق وادي طبجه أحد روافد وادي الحمض ، ويسير إلى الجنوب الشرقي فيمر بمحطة جداعة وجبل جداعة ويبعد عن هديّه ٢٢ كيلو متراً ، ثم يمر بأبي النعم[٦] ليصل إلى إصطبل عنتر[٧] الواقع شمال جبل عنتر عند دائرة عرض ٥- ٢٥°شمالا وخط طول ٥٣- ٣٨° شرقا ويكثر بها الحرامية والسُراق [٨] وتبعد عن هدية ٥٦ كيلو متراً [٩] ثم يسير الطريق في اتجاه الجنوب الشرقي إلى أن يصل إلى بئر نصيف [١٠] وتبعد عن المدينة المنورة ٧٤ كيلو متراً وتقع عند دائرة عرض ٥١-٢٤° شمالا وخط طول ١٢-٣٩° شرقا [١١] ثم يواصل

---

(١)بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٢٠٩.

(٢)السنوسي ، في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج ، ص ٢٩٢.

(٣)هديّه : ذكرها الموسوي بقوله " ثم أتينا على هديّه وهي شعب مسيل فيه نخل وماء وهو من أخبث المياه وأضرها وسمومها تورث الحمّيات "، الموسوي ، رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٣٩.

(٤)بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٢٠٩.

(٥)السنوسي :في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج ، ص٢٩٢.

(٦)بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٢٠.

(٧) إصطبل عنتر : فضاء صغير بين جبال وعرة وحدرات. مجهول ، كفاية المحتاج إلى معرفة منازل الحاج ، مخطوط، مكتبة الحرم المكي ، ، رقم ف ٢٧٠٣، عام مصورات ، ص ١٣.

(٨)الجاسر ، حمد ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، ص ٩٣.

(٩)بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ٢٠٩- ٢١٠.

(١٠)بئر نصيف : ذكرها الزياني والسنوسي بأسم (آبار نصيف) ، الزياني : أبو القاسم ، الترجمانه الكبرى في أخبار المعموره برا وبحرا ، تحقيق : عبد الكريم الفلالي ، (المملكة المغربية : وزارة الأنباء المغربية ،١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، ص ١٨٦؛ السنوسي ، في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج ، ص ٢٩١.

(١١)بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٢١٠.

الطريق سيره بنفس الاتجاه ليصل إلى بؤاط وتبعد عن بئر نصيف ١٩ كيلو متراً، وتقع عند دائرة عرض ٢٤-٤٣ ° شمالا وخط طول ١٥- ٣٩°شرقا [(١)] ، ثم يكمل الطريق مساره إلى أن يصل إلى المدينة المنورة عند دائرة عرض ٣٨- ٢٤°شمالا وخط طول ٣٦- ٣٩° شرقا ،وتقدر المسافة من دمشق إلى المدينة المنورة بـ ١٣٠٢ كيلو متراً [(٢)].

وبعد وصول القافلة للمدينة المنورة يمكث الحجاج بضعة أيام لزيارة المسجد النبوي الشريف والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتواصل القافلة بعد ذلك رحلتها إلى مكة المكرمة بطريق بدر فقبور الشهداء[(٣)] مارةً على المنازل المؤدية إليها ومن أهمها [(٤)]:

ذو الحليفة: وهي أول منازل طريق القافلة من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة [(٥)] وهي ميقات أهل المدينة والمارين بها إلى مكة المكرمة [(٦)] فيها آبار كثيرة بإزاء وادي العقيق ومنه يحرم الحاج ويهللون بالتلبية ، ويسميه الحاج بئر علي[(٧)].

رابــغ : من منازل طريق الحج الشامي بين المدينة ومكة، وهي عبارة عن قرية على البحر

---

(١)بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٢١١.

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢١٠.

(٣) قبور الشهداء : من منازل قافلة الحج الشامي تقع بين آبار علي والجديدة ولا يوجد فيها آبار لسقاية الحجاج ، طريق الشام إلى مكة المكرمة منذ قرن ونصف قرن ، مجلة الوثيقة ، البحرين ، ع٢٠ ، س ١٠ ،١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، ص ٦٧.

(٤) أنظر خريطة منازل طريق الحج الشامي ، ملحق رقم (١)، ص ١٣٦.

(٥) المكناسي، رحلة المكناسي، ص٢٦٣؛ العلي : صالح أحمد ، منازل الطريق بين المدينة ومكة ، الدارة ،(العدد ١، السنة ٣ ، الرياض ،١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ص ١٩.

(٦)درادكه ، طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية ، ص ٢١٩.

(٧)الجزيري : عبد القادر بن محمد الأنصاري ، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، تحقيق : حمد الجاسر ، ج٢ ، (الرياض : دار اليمامة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ص ٦٥.

الأحمر، فيها قلعة يسكنها بعض الجند العثماني(١).

قديد : موضع قرب مكة مليء بالآبار والمزارع (٢) وقد سميت بذلك لتقدد السيول بهـا (٣).

خليص : وصفها الموسوي بقوله عين غزيرة الماء، عليها نخل كثير، وبركة متسعة جدا (٤) وتقع على بعد ٨ أميال من قديد(٥).

عسفان : إحدى المنازل الرئيسية على طريق الحج بين المدينة المنورة ومكة وهي قرية عظيمة كثيرة الأهل خصبة وماؤها من الابار (٦) وفي طريقها عقبة حيث لاتسع إلا جملا جملا وتبعد عن خليص خمسة عشر ميلا (٧).

ويمكن القول إنه منذ بداية العهد العثماني أصبح خط سير قافلة الحج الشامي شبه محدد، وأصبحت المحطات التي يقف فيها الحجاج للراحة شبه ثابتة ، ولاسيما بعد أن أقامت الدولة العثمانية محطات جديدة لاستراحة الحجاج لتقريب المسافات بين محطات الاستراحة وتوفير ما يلزم من ماء وطعام وتوفير الأمن والطمأنينة للقوافل(٨).

---

(١)المكناسي، رحلة المكناسي، ص٢٦٣؛ البتنوني : محمد لبيب ، الرحلة الحجازية ، ط٢ ، (مصر ، مطبعة الجمالية ، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)، ص ٢٠٩.

(٢)المكناسي، رحلة المكناسي ، ص٢٦٣؛ الحموي، معجم البلدان، ج٤ ، ص ٣١٢ ؛ الموسوي ، رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٤٣.

(٣)الحربي: ابراهيم بن اسحاق ، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، دراسة وتحقيق: حمد الجاسر، (الرياض ، دار اليمامة ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، ص ٤٥٩.

(٤)الموسوي ، رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٤٣.

(٥)العلي ، منازل الطريق بين المدينة ومكة ، ص ٤٩.

(٦)درادكه ،طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية ، ص ٢٣٧.

(٧)البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٢٠٩؛ الحربي ، المناسك وأماكن طرق الحج ، ص ٤٦٣.

(٨)الشقيرات: أحمد صدقي، تاريخ الأدارة العثمانية في الأردن،(١٨٦٤-١٩١٨م)،(عمان: مطبعة آلاء للطباعة والتصميم،١٤١٢هـ/١٩٩٢م)،ص٢٦.

الفصل الأول

تكـــــوين القافلــة:

المبحث الأول : المحمل

المبحث الثاني :إدارة قافلة الحج :

اولا : إمارة الحج

ثانيا: الموظفون العاملون في القافلة

المبحث الأول: المحمل :

بعد أن انتظمت مسيرة طريق الحج الشامي ما بين دمشق والأراضي المقدسة كان يرسل إلى الحرمين الشريفين محمل[1] في كل عام عرف بمحمل الحج الشامي[2].

فالمحمل معروف منذ زمن الأمويين ثم العباسيين ثم زاد اهتمام الفاطميين به إذ بلغت نفقاته أكثر من مائتي ألف دينار[3] واستمر ذلك زمن المماليك، أما العثمانيون فقد كان اهتمامهم بالمحمل واضحا وكبيرا حيث رصدوا له الأموال الطائلة كل عام فكان يكسى بقماش مخملي أخضر كتب عليه آيات من القران الكريم كما كانوا يحرصون على إرسال المحمل بصحبة الركب الشامي وذلك لإضفاء صفة حماية الأراضي المقدسة إليهم[4].

وهو عبارة عن هيكل مغطى بقماش مخملي أخضر كتبت عليه بالقصب آيات من القران الكريم يحمله جمل مزين بأقمشة مزركشة وجلود جميلة خيطت عليه أصداف صغيره ومرايا يرافق أمير الحج من دمشق إلى الأراضي المقدسة في الحجاز واعتبر شعارا للسلطان العثماني ورمزا لسيادته على الحرمين الشريفين[5].

---

(١) المحمل وما يتعلق به من الاحتفالات من الأمور المبتدعة في الدين الإسلامي ، السنوسي ، في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج ، ص ٢٨٦.

(٢) بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص١٨٠.

(٣) الخربوطلي: علي حسني، الكعبة على مر العصور، ط٢، (القاهرة: معارف،دار المعارف،١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ،ص١١٦.

(٤) كيال، محمل الحج الشامي، ص ١٢٩؛ العظمة: عبد العزيز، مرآة الشام. تاريخ دمشق وأهلها، تحقيق: نجدة فتحي صفوة،، (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، د.ت) ، ص ١١٥.

(٥) نعيسة : يوسف جميل، مجتمع مدينة دمشق في القرنين مابين (١١٨٦- ١٢٥٦هـ/ ١٧٧٢- ١٨٤٠م) ، ج٢ ، (دمشق: دار الطلاس ،١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ص ٦٦٧.

وأورد الدكتور عبد الله عنقاوي نقلا عن (العياشي) الذي شهد احتفال المحمل في شهر شوال من عام ١٠٧٢هـ/ ١٦٦٢م وصفا للمحمل فذكر بأنه: " قبةٌ من خشب رائعة الصنعة بنمط

متقن وشبابيك ملونه بأنواع الأصباغ، وعليه كسوة من رفيع الديباج المموه بالذهب، ورقبة الجمل (الذي يحمل المحمل) ورأسه وسائر أعضائه محلاة بجواهر منظمة أبلغ نظم، وعليه ريش محلى بمثل ذلك والجمل في أعظم ما يكون من السمن وعظم الجثة وحسن الخلقة مخضب جلده كله بالحناء"[1].

وكان هيكل المحمل يضم بداخله مصحفين شريفين صغيرين يوضعان في داخل صندوقين من الفضة المذهّبة، ويعلقان بالقمة[2] كما يضم أيضا الكسوة[3] للكعبة المشرفة[4] ولمقام سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام المصنوعة من الحرير المشجر الموشى بالذهب والمزين بالآيات القرآنية تقديرا لأهميتها الدينية حيث اهتم الولاة في العهد العثماني اهتماما كبيرا بكسوة المحمل الشامي من حيث العناية بها وبزخرفتها وتجديدها حيث عمل والي دمشق عبد الله باشا الأيدينلى[5] في عام ١١٤٤هـ / ١٧٣١م كسوه جديدة للمحمل الشامي[1].

---

(١) عنقاوي : عبد الله عقيل، المحمل نشأته وآراء المؤرخين فيه ، مجلة كلية الآداب، المجلد ٢ ، (الرياض : جامعة الرياض ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م) ، ص ٣٢٤- ٣٢٥.

(٢) حلمي : إبراهيم ، المحمل رحلات شعبية في وجدان أمه، (القاهرة : مكتبة التراث الإسلامي ،١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ص ٧.

(٣) كان للمحمل كسوتان ، كسوته المعتادة وهي من البفتة الخضراء وكسوته المزركشة ولا يلبسها إلا في المواكب الرسمية . البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ١٤٢.

(٤) كانت كسوة الكعبة تكلف سنويا اثنين وعشرين الف كيس والكيس خمسمائة قرش.الورثيلاني: سيدي الحسين بن محمد، نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المشهورة بالرحلة الورثيلانية، ط٢،(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م)،ص٢٦٠-٢٦١.

(٥) عبد الله باشا الأيدينلي : والي دمشق (١١٤٣-١١٤٤هـ/١٧٣٠-١٧٣١م)كان رجلا مهابا حج ثلاث سنوات وعمر في طريق الحج رصيفين من الصنمين إلى قرب المزيريب وبلط طريق القنيطرة وعمر قلعة المدورة وبركتين بها وعمر=

وكان يقام للمحمل احتفالان الأول في مدينة دمشق ويشارك في موكبه عساكر الشام بأحسن لباس، وهم مغرقون بالأسلحة المطلية بالذهب لإشعار الناس باهتمام السلطة بالشعائر الدينية وإظهار قوة الدولة وبأسها وإحكام سيطرتها على البلاد، كما يشارك فيها أيضا كبار رجالات الدولة والعلماء والمشايخ وقاضي المحمل بالألبسة الرسمية المطرزة بالذهب ويحيطون بالمحمل ويذكرون الله تعالى والموسيقى السلطانية تصدح خلفها بألحانها [٢] وتنطلق هذه الدورة برفقة المحمل من المشربية (السراي)[٣] بطريق السنانية إلى مرقص السودان الذي يعرف اليوم بشارع البدوي فطريق الشاغور فباب كيسان ثم باب شرقي ثم إلى الشيخ أرسلان الدمشقي فعلى برج الروس ثم السادات فالعمار فيمرون بالسروجية ثم إلى السرايا[٤] والغرض من دوران المحمل هو إثارة الرغبة في نفوس الناس لأداء فريضة الحج. وفي السرايا يقدم الطعام للمحتفلين ثم يطوى المحمل وتوضع جميع حليّه في صناديق مختومة إلى يوم طلوع موكب الحج الشريف مابين الخامس عشر والسابع عشر من شهر شوال إلى الأراضي المقدسة بالحجاز[٥].

كما نقل لنا يوسف نعيسة وصف الرحالة توماس رايت (Thomas Wright) لموكب المحمل في دمشق عام ١١٠٨هـ/ ١٦٩٧م حيث ذكر:

=جسر الحسا وصلح قلاع طريق الحاج وعمر سد بئر سيدنا عثمان، وعمر الحجرة النبوية بالقيشاني وعمل كسوة للمحمل جديدة، وكان يحب العلماء والمشايخ، عزل في شعبان سنة ١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م. المنجد : صلاح الدين ، ولاة دمشق في العهد العثماني. وهو يتضمن الباشات والقضاة لابن جمعة والوزراء الذين حموا دمشق لابن القاري ومصادر عن تاريخ دمشق أيام العثمانيين، (دمشق : د.ن ،١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م) ، ص ٧٧-٧٨.

(١) حلمي ، المحمل رحلات شعبية في وجدان أمه، ص ١٤- ١٥.

(٢) الصيادي : محمد عز الدين عربي كتابي، الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية ،(دمشق : المقتبس ،٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م) ، ص ٣٢.

(٣) السراي : مقر الحكومة ، جارشلي ، أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني،ص ٥٨.

(٤) كيال، محمل الحج الشامي، ص ١١٣.

(٥) المرجع نفسه .

" كان أمير الحج لهذا العام والي طرابلس سنان باشا[1] ولضمان سلامتنا كأوربيين ودرء شر المتعصبين، استأجرنا حانوتا في أحد الأسواق يمر من أمامه موكب القافلة، فمر أولا من أمامنا موكب فرسان مكون من ٤٦ دلي[2]، يحمل كل واحد منهم بيده علما من الحرير الأحمر والأخضر أو من الأصفر والأخضر وجاء بعدهم ثلاث مجموعات من السكبان[3] يقودهم رجل تركي، ثم جاء بعض جند السباهية [4] بقيادة واحد منهم ...ثم قطعات أخرى عليها دروع قديمة ثم قطعتان من فرسان الإنكشارية[5] يرأسهما الآغا ومن ورائهم ستة عناصر تقود خيولا مسرجة

---

(١) سنان باشا: نزيل دمشق، أصلة من قرية دورلى من ضواحي قرمان قدم إلى دمشق في خدمة الوزير مصطفى باشا. سنة ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م فأقام في دمشق وصار من جندها وصار زعيم دمشق ومرات سردارا بخدمة المحكمة ثم ترقى حتى صار باشجاويش وحج سنتين . وبعد مدة صار كتخدا الجند، كان سخيا إلى الغاية وله بذل وعطايا وقرى وصار أميرا للحج فحج بالناس سنتين سنة ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م وسنة ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م . وتوفي عام ١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥م ، المحبي : محمد أمين بن فضل الله ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ج٢ ، (بيروت : دار صادر ، د.ت) ص ٢١٩-٢٢٠.

(٢) دلي : كلمة تركية تعني الأهواج أو المتهور . مجموعها الدالاتية وأطلق هذا الاسم على تلك المجموعة لشجاعتها واندفاعها في القتال وهم عبارة عن خليط من أجناس مختلفة كالترك والكروات والبوسنيين والصربيين وكانت هذه المجموعات تبحث عمن يستأجرها مقابل المال. و كان قائدهم يعرف بدلي باشي، الحمود، العسكر في بلاد الشام ، ص ٦٢.

(٣) السكبان : هي لفظه فارسية معناها حارس أو مدرب الكلاب وهي فرقة من المتطوعين الذين يقدمون أنفسهم للجندية بمحض اختيارهم وقت الحاجة الشديدة إلى الجند وقيل هي محرفه من كلمة سيمن seyman التركية وتعني بالفارسية المقدام الذي يشاطر صفوف العدو ويعود وجود هذه الفئة من العساكر إلى عهد مراد الأول وكانوا يرافقون السلطان في الصيد ثم ألحقوا بالإنكشارية في عهد السلطان محمد الفاتح. صابان : سهيل ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، (الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) ، ص ١٣٤.

(٤) السباهية : جمع سباهي وهو اصطلاح عسكري مأخوذ من الكلمة الفارسية (سباه) بمعنى جيش. تطلق على جنود الخيالة الذين يتم تجهيزهم من قبل أصحاب الإقطاعات العسكرية للمشاركة في الحرب ويختلف عدد هؤلاء وفقا للدخل السنوي للإقطاع من أصحاب الأراضي الميرية . السامرائي : أحمد محمود علو ، والدليمي : محمد حمزة حسين ، الإنكشارية ودورهم في الدولة العثمانية حتى سنة ١٨٢٦م ،العراق : مجلة التربية والعلم ، م ١٧ ، (العدد ٢ ، السنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م) ، ص ٨١.

(٥) الإنكشارية : (بالتركية يني جري) وتعني الجنود الجدد ، اسم يطلق على فرق المشاة النظاميين التي كونها العثمانيون في القرن الرابع عشر الميلادي وأصبحت أكبر قوة عندهم مكنتهم من الفتوحات الواسعة التي قاموا بها، كانوا يرتدون الزي=

بشكل ممتاز وأنيق ثم جاء موكب المحمل، الذي هو عبارة عن سرادق (خيمة كبيرة أو فسطاط) من الحرير الأسود منصوبة على ظهر جمل ضخم للغاية، تتدلى شراشيبه [1] من حوله حتى تصل إلى الأرض وتزين قمته كرة ذهبية، تتدلى منهما أيضا شراشيب ذهبية. وكان جمل المحمل مزينا بما لا حصر له من الزينات، كالمرايا والصدف وذيول الثعالب وأقمشة الزينة المختلفة، تتدلى على رقبته وفخذيه وظهره، ... ويأتي بعد المحمل الباشا وحراسه وكان مرور الموكب يستغرق أربعين دقيقة تقريبا" [2].

والاحتفال الثاني عند طلوع المحمل من دمشق إلى الحجاز مابين الخامس عشر والسابع عشر من شوال إذ يخرج العساكر والأمراء والقضاة في موكب كبير يتقدمهم المحمل[3] ويسمى هذا اليوم (يوم خروج المحمل الكبير) وهو من أيام الزينة يجتمع له الناس من أطراف البلد. ويؤتى بكسوة الكعبة المشرفة [4]، فإذا تكامل جميع الأمراء جيء بجميع ما يحتاج إليه أمير الحج من أبل وقرب وخيل ورماة وصناديق وأقفاص مغلقة وخيام وغير ذلك من الأشياء التي تخرج من بيت المال فتحضر الطوائف المختلفة كل طائفة لها أمير مقدم عليها حتى الطباخون والسقاءون وغيرهم. ثم يؤتى بعد ذلك بالمحمل بطرازه الموشى البديع والمزركش بالقصب المذهب ويتسلمه أمير

=العسكري، ومنذ عام ٩٨٩هـ/ ١٥٨٢م في عهد السلطان مراد الثالث ت (١٠٠٣هـ/ ١٥٩٥م) أصبح الناس على اختلاف ألوانهم يحاولون الانخراط في سلك الإنكشارية ثم أختل نظامهم وضبطهم وازداد تدخلهم في أمور الدولة والتجاوز على الناس مما دفع بالسلطان محمود الثاني إلى القضاء عليهم في عام ١٢٤١هـ/ ١٨٢٦م . السامرائي والدليمي ، الإنكشارية ودورهم في الدولة العثمانية حتى سنة ١٨٢٦م ، ص ٨١.

(١) شراشيب : هي الزوائد المتدلية التي تكون في إطار القماش .

(٢) المكناسي، رحلة المكناسي،ص ٢٤٧-٢٤٨؛ نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ، ج٢، ص ٦٧٢.

(٣) الدمشقي : محمد بن طولون الصالحي ، إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ، تحقيق : محمد أحمد دهمان ، ط ٢ ،(دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ، ص ٣٢٩.

(٤) عمر: سميرة فهمي علي، إمارة الحج في مصر العثمانية (٩٢٣-١٢١٣هـ/١٥١٧-١٧٩٨م) ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ص ١٦٧.

الحج بحضور القاضي والأمراء[1] ثم يخرج الموكب من باب المشيرية (السراي) الواقع في بداية سوق الدرويشية والممتد من اتجاه باب القلعة إلى اتجاه باب الجابية، وأمير الحج في ذلك الحشد من الموكب الممتد على طول ثلاثة كيلو مترات يتقدم الموكب ساعة ويستعرض العسكر وأصحاب الرتب العليا ، وساعة يعود إلى مكانه في الموكب، إلى وصول الموكب إلى قبة الحاج [2] .

وقد تميز الاحتفال بموكب المحمل بالدقة والتنظيم من حيث سير الموكب وتسلسل كل المشاركين فيه وترتيبهم إلى الجمع الغفير من المشاهدين الذين يجتمعون على طول خط سير الموكب وعلى أسطحة المنازل وشرفات المآذن والأماكن العالية المطلة على خط سير موكب المحمل.

(١) سميرة ، إمارة الحج في مصر العثمانية ، ص ١٦٧.

(٢) كيال، محمل الحج الشامي، ص ١١٤- ١١٥.

المبحث الثاني : إدارة قافلة الحج :

كان الإعداد والتجهيز لقافلة الحج يبدأ أولا بتعيين الإدارة التي سوف تتولى مسؤولية وصول القافلة إلى الأراضي الحجازية والعودة بها إلى دمشق مرة أخرى حيث يبدأ السلطان بتولية أمير الحج فهو المسئول الأول فيها وفي مسيرها وتوقفها وذهابها وعودتها لذلك كان يختار بعناية فائقة ومن الشخصيات المشهورة بالصلاح والمعروف عنها الشجاعة والقوة وحسن التصرف وتوفير النفقات اللازمة التي تحتاج إليها القافلة[١].

ويمكن تقسيم إدارة قافلة الحج الشامي إلى قسمين إمارة الحج والموظفون العاملون في الإدارة

أولا: إمارة الحج :

جرت العادة بأن تعهد الدولة العثمانية إلى أحد الأمراء المحليين من حكام سناجق (ولايات) غزه أو عجلون أو اللجون أو نابلس أو صفد أو القدس أن يكون أميرا على قافلة الحج [٢] أمثال قانصوه بن مساعد الغزاوي[٣] أمير عجلون والكرك. والأمير فروخ بن عبد الله

---

(١) بيومي: محمد علي فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني في الفترة من (٩٢٣- ١٢٢٠هـ/ ١٥١٧- ١٨٠٥م) ، (القاهرة ، دار القاهرة للكتاب ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ص ١٦٣.

(٢) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٤٩ ؛ بني يونس، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن، ص ٤٤.

(٣) قانصوه بن مساعد بن مسلم الغزاوي : تولى إمارة الحج الشامي لمدة خمس عشرة سنة كان من أحسن الأمراء سيرة وكان من يحج في زمانه يستريح في سفره فلم يحصل للقافلة والحجاج خلال قيادته لها ما يكدرها فقد كانت القبائل البدوية تطيعه وتخافه وعندما رفض الخروج مع والي مصر العثماني إبراهيم باشا في إحدى حملاته وشى به إلى السلطان فقبض عليه ثم عفا عنه وعاد لقيادة القافلة لكنه توفي في عام ١٠٠٠هـ / ١٥٩١م ، الغزي : نجم الدين محمد بن محمد، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، ج ٣، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ص ١٨٠.

(١٠٢١هـ/١٦١٢م)[(١)] حاكم نابلس والقدس[(٢)]. والأمير حسين باشا رضوان حاكم نابلس وغزة [(٣)].

وكانت الدولة العثمانية قد اعترفت بهؤلاء الأمراء المحليين الذين قامت قوتهم على أسس قبلية وإقطاعية حكاما على السناجق التابعة لولاية الشام لأنهم أثبتوا وجودهم وسلطتهم محليا وكان القضاء عليهم سيكلف الدولة كثيرا من الجهد وكما تضمن الدولة دفعهم الضرائب عن المناطق التي يسيطرون عليها [(٤)].

وحين قام فخر الدين المعني الثاني أمير جبل لبنان[(٥)] بتوسيع سلطته في الفترة بين (٩٩٨- ١٠٤٤هـ/١٥٩٠- ١٦٣٥م) لتشمل الساحل اللبناني والبقاع وصناجق فلسطين

---

(١) فروخ بن عبد الله : كان واحدا من ألمع مماليك الأمير بهرام بن مصطفى باشا ، شقيق الأمير رضوان حاكم غزه . ترقى في المنصب أثناء خدمة سيده كان شجاعا سخيا صاحب مروءة تسلم إمارة الحج الشامي بعد وفاة سيده فكانت سنوات إمارته للقافلة أعوام رخاء للحجيج لأنه صرف جهده في حراسة الركب وخدمته، توفي في مكة المكرمة عام ١٠٣٠هـ/ ١٦٢٠م المحبي: محمد أمين بن فضل الله، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ج٣ ، ص ٢٧١.

(٢) كيال، محمل الحج الشامي، ص ٤٠.

(٣) حسين باشا بن أحمد بن رضوان بن مصطفى الغزي : كان نبيه القدر كبير الهمة له آداب ومآثر مأثورة ، تولى إمارة نابلس أثناء حياة والده ، ثم أسندت إلية إمارة الحج سنه ١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م واستمر في منصبة حتى عام ١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م وبعد وفاة والده أصبح حاكما لغزة مما وسع سلطانه ، فخافت الدولة العثمانية من نفوذه فألقت القبض عليه وأعدمته عام ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م ، المحبي ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ج٢ ، ص ٥٤٨- ٥٤٩.

(٤) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص٧.

(٥) فخر الدين المعني الثاني: هو فخر الدين ابن قرقماس ابن فخر الدين الأول من آل معن من أكبر أمراء هذه الأسرة من دروز الشوف بلبنان ، ولد في الشوف وثبتت له إمارتها بعد أبيه عام ١٠١١هـ/ ١٦٠٢م ، كان شجاعا باسلا طموح النفس كثير الفتك بأعدائه محبا للعمران استولى على صيدا وصفد وبيروت، وجردت عليه الحكومة التركية قوه لا قبل له فهرب إلى إيطاليا وفي عام ١٠٢٦هـ/ ١٦١٧م ، عفت عنه الحكومة العثمانية فعاد إلى لبنان وأعيد إلى إمارتها فامتدت سلطته من حدود حلب فلبنان إلى حدود القدس غربا إلا أن ولايات حلب ودمشق والقدس لم تكن له علاقة بها فطمع بالاستيلاء عليها فشعرت الحكومة بمخططه عام ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م، فقبضت عليه حيث سجن في الأستانة=

اصطدم بالأمراء المحليين الذين عينوا أمراء على الحج فأزال بعضهم من السلطة وأضعف البعض الآخر [(١)]وحين قضت الدولة العثمانية على الأمير فخر الدين المعني في عام ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٥م ظهر فراغ محلي في المنطقة سرعان ما ملأه ولاة دمشق وولاة صيدا بعد تأسيس هذه الولاية في عام ١٠٧٠هـ/١٦٦٠م[(٢)]. ونظرا لزدياد سلطة الإنكشارية خلال تلك الفترة فقد أصبحوا يعيّنون أمراء لقافلة الحج الشامي للمحافظة عليها[(٣)] وعين الإنكشارية في الوقت نفسه حكاما على سنجق أو أكثر من سناجق فلسطين ليتمكنوا من جمع الضرائب المحلية لتغطية نفقات القافلة كما أن القوات الموضوعة تحت تصرفهم لقيادة القافلة أقامت معهم في هذه الصناجق [(٤)].

وبازدياد نفوذ انكشارية دمشق اليرليه [(٥)] عمدت الدولة في عهد الوزراء العظام من آل كوبريلي (١٠٦٦-١٠٨٦هـ/١٦٥٦-١٦٧٦م) إلى البطش بزعمائهم في عام ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م وأقامت طائفة انكشارية جديدة أكثر ولاءً للسلطان عرفت باسم القابي قول (عبيد السلطان) بجانبهم[(٦)]. ومن أشهر من تولوا قيادة القافلة من الإنكشارية محمد

= ثم عفا عنه السلطان فكثرت الوشايات به فأمر السلطان بقتله عام ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٥م ، الزركلي: خير الدين، الأعلام، ج٥، ط١٥ ، (بيروت ، دار العلم للملايين ،١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) ، ص ١٣٧- ١٣٨.

(١) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ٨.

(٢) المرجع نفسه .

(٣) رافق: عبد الكريم، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت (١٥١٦- ١٧٩٨م) ، ط٢ ، (دمشق : د.ن ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م) ، ص ١٩١.

(٤) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني،ص٨.

(٥) اليرليه: تطلق على الفرق الإنكشارية التي انغمس منتسبوها في المصالح المحلية في كل من دمشق وحلب . حيث انظم السكان المحليون لهذه الفرق ، فأصبحت تعرف بالإنكشارية اليرليه أي المحلية. ابو سليم : عيسى سليمان ، الأصناف والطوائف الحرفية في مدينة دمشق خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ، (عمان : دار الفكر ،١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ص ١٢٦-١٢٧ .

(٦) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ٨ .

بن حسن التركماني [١] وابنه موسى بن محمد التركماني [٢] الذي عين لمدة عامين متتالين١٠٨٠هـ/ ١٦٧٠م و ١٠٨١هـ/ ١٦٧١م ، ويعد أحد الإنكشارية البارزين في دمشق [٣] وخليل بن عثمان الشهير بابن كيوان[٤].

ونظرا لضعف نفوذ هؤلاء الإنكشارية بعد عام ١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م لجأت الدولة العثمانية إلى تعيين موظفين عثمانيين إلى جانب بقايا الأمراء المحليين وزعماء الإنكشارية لإمارة الحج، أمثال الشريف يحيى بن بركات[٥]. وقد ازداد تعيين هؤلاء الموظفين بالتدريج نظرا لتزايد ضعف الفريقين الآخرين [٦] وضموا إلى هؤلاء الموظفين بعض ولاة دمشق أمراء لقافلة الحج

---

(١) محمد بن حسن التركماني: هو أحد أمراء جند الشام وأعيانها المشهورين كان والده كاخيا الجند في دمشق اشتهر بشجاعته وفروسيته شارك في حملة روان وأسره العجم، ولما أطلق سراحه عاد لدمشق وأخذ يترقى في المناصب حتى أصبح كبير جند الشام الإنكشارية وأصبح أولاده بلوكباشية وقد كانت أسرة التركماني عماد جند اليرليه إذ زادت أعدادهم على تعداد ثلث جند الإنكشارية اليرليه ، وتوفي عام ١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م ، المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج ٣، ص ٤٢٧-٤٢٨.

(٢)الأمير موسى بن محمد: هو الامير موسى بن محمد الشهير بابن تركمان حسن الدمشقي اشتهر بالقوة والشجاعة، انتقلت به مناصب الجند بالشام حتى صار باش جاويش وحج مرتين متتابعتين ثم صار كتخدا العسكر وأمر بالسفر إلى محاصرة قنديه عام ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م ثم قدم إلى دمشق وأقام بها مدةً ثم وجهت إلية الإمارة ببلاد عجلون. المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ج ٤ ، ص ٤٣٤.

(٣) رافق، بلاد الشام ومصر، ص ٢٢٥.

(٤)خليل بن عثمان الشهير بابن كيوان: ينتمي إلى عائلة كيوان بن عبد الله الذي كان أحد أعيان الجند المشهورين بالقوة والقسوة في دمشق، فعرضت عليه الدولة العثمانية إمارة القافلة بعد أن تعرضت لهجمات البدو فتسلمها وأحسن القيادة طوال فترة قيادته، توفي عام ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م . المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج٢ ، ص١٣٣-١٣٤.

(٥) الشريف يحيى بن بركات بن محمد بن إبراهيم بن أبي يحيى: من أشراف مكة نال رتبة الباشوية وتولى إمارة الحج الشامي عام ١١٣٠هـ/١٧١٨م لمدة عامين ثم عزل عن قيادة القافلة واستمر شريفا على مكة ولكنة تنازل عن الشرافة لإبنه عام ١١٣٤هـ/١٧٢١م ، بسبب الخلافات مع أشراف مكة ، وتوفي بعد ذلك بسنة. دحلان: أحمد بن زيني، خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام ، (بيروت : الدار المتحدة ، د.ت) ، ص ٢١٦- ٢١٧- ٢٢٤-٢٢٥.

(٦) رافق: عبد الكريم، العرب والعثمانيون ١٥١٦- ١٩١٦م ، (دمشق : د.ن ،١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م)، ص ١٩٩.

الشامي، وعين بعضهم في الوقت نفسه حكاما على السناجق السابقة [١] ، وعندما كان يعين حاكم السنجق أميرا على الحج فإنه يقيم مع قوّاته في ذلك السنجق إلى حين موعد سفر القافلة ثم يأتي بعد ذلك إلى قبة الحاج، حيث تتجمع قافلة الحج للانطلاق إلى الحجاز[٢].

أما عندما يكون أمير الحج غير حاكم لسنجق فإنه يقيم في دمشق مع قواته، الأمر الذي كان ينجم عنه اضطراب الوضع الأمني والاجتماعي بدمشق لرفض هذه القوات وهي قوات مرتزقة مغادرة دمشق بعد انتهاء مهمتها [٣] ونتج عن هذا التنوع في هويات أمراء قافلة الحج عدم استقرار علاقتهم مع البدو مما دفع القبائل البدوية إلى مهاجمة قافلة الحج، خاصة وأن الموظفين العثمانيين المعينين أمراء للقافلة امتنعوا عن دفع الصرة وهي ما اعتادت الدولة دفعه للقبائل البدوية سابقا [٤]. ولذلك أصبح السلطان العثماني لا يستطيع التغاضي عن اعتداءات القبائل البدوية على قافلة الحج، لأن سمعته الدينية ستتأثر بذلك فكان لأبد له أن يعين أصحاب النفوذ الوحيدين في بلاد الشام وهم ولاة دمشق أمراء على قافلة الحج [٥].

وكان أول من أسند إليه هذا المنصب هو بشير إسماعيل باشا عام (١١٠٥هـ/١٦٩٤م) إلا أن الدولة لم تثبت في موقفها في إسناد إمارة الحج إلى الوالي بصفة مستمرة إلا منذ عام (١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م) أي منذ تسليم نصوح باشا[٦] ولاية دمشق

---

(١) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ٨.

(٢)المرجع نفسه.

(٣) كيال، محمل الحج الشامي، ص ٤١.

(٤) رافق، العرب والعثمانيون، ص ١٩٩.

(٥) بني يونس، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن، ص ٤٦.

(٦) نصوح باشا: أول ولاة الشام في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي الذين حكموا لفترة طويلة، امتدت ولايته لمدة ستة أعوام تقريبا بين (١١٢٠هـ/ ١٧٠٨-١٧٠٩م) و(١١٢٦هـ/ ١٧١٤- ١٧١٥م) ، أظهر كثيرا من السلطة داخل دمشق وخارجها. وأمن بصورة خاصة سلامة قافلة الحج الشامي التي أعطي إمارتها إلى جانب منصبة كوال=

[1]. وكانت مسؤولية إمارة الحج لدى والي دمشق من أخطر مسؤولياته لأنه بمقدار ما ينجح في هذه المهمّة بمقدار ما يستقر في منصب ولاية دمشق، وقد قدّرت الدولة العثمانية خطورة هذه المسؤولية فكانت تتخير لولاية دمشق كبار رجالاتها [2]واستمر تعيين والي دمشق أميرا على الحج مادام باستطاعته توفير الأمن والسلامة لقافلة الحج، مما أرضى السلطان وعلماء الدين، ولذلك شهدت دمشق منذ عام ١١٢٠هـ/١٧٠٨م استمرار ولاتها في الحكم سنوات عديدة خلافا لما كان عليه الأمر في القرن السابق [3].

وهذا أدى إلى إطالة حكم الولاة من (آل العظم) [4] الذين أمنّوا سلامة القافلة فحكموا دمشق حوالي ستين عاما بشكل متقطع في القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر [5] ومن هؤلاء إسماعيل باشا العظم الذي تولى ولاية دمشق عام ١١٣٧هـ/١٧٢٤م – ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م وسليمان باشا العظم[6] الذي تولى ولاية دمشق

= للشام، إلا أن السلطان أوعز بقتل نصوح باشا في عام ١١٢٦هـ/ ١٧١٤- ١٧١٥م رغم تأمينه سلامة الحاج ويفسر ذلك بخوف السلطان من ازدياد قوته، رافق، العرب والعثمانيون ، ص ١٩٥-١٩٦؛ رافق، بلاد الشام ومصر ، ص ٢٢٢.

(١) ابن كنان : محمد بن عيسى بن كنان الصالحي الدمشقي ، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية ، دراسة وتحقيق : حكمت سليمان ، ج١ ، (دمشق : وزارة الثقافة ،١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ، ص ٣٩.

(٢) كيال، محمل الحج الشامي، ص ٤٢.

(٣) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني،ص ١٠.

(٤) آل العظم: ظهرت هذه الأسرة في القرن الثامن عشر، واستوطن عدد من أفرادها في مناطق متعددة، أصلها غير معروف بالتأكيد فهناك من ينسبهم إلى الترك وآخر ينسبهم إلى معرّة النعمان ويقال: إن عيسى اسكندر معلوف تتبع أصل هذه الأسرة وخلص إلى أنهم من قبيلة بني هزيم في البلقاء، واعتبر ذلك دليلا قاطعا على عروبتهم كما استطاعت هذه الأسرة أن تعيد لدمشق ما كان لها من مركز قوة ودور محوري في المنطقة كلها، شيلشر: ليندا، دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ترجمة : عمرو ودينا الملاح ، مراجعة : عطاف مارديني ، (دمشق : دار الجمهورية ،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)،ص ٤٣؛ كيال ، محمل الحج الشامي ، ص ٤٣.

(٥) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١٠.

(٦)سليمان باشا بن إبراهيم العظم النعماني: من معرة النعمان، يعد من أبرز الشخصيات في عائلة العظم الذين تولوا إدارة دمشق إذ تولى ولاية دمشق مرتين الأولى في الفترة مابين ١١٤٦- ١١٥١هـ/١٧٣٤- ١٧٣٨م ، ثم عزل بسبب إخفاقه =

مرتين : الأولى من ١١٤٦-١١٥١هـ / ١٧٣٤- ١٧٣٨م، والثانية من ١١٥٤- ١١٥٦هـ/ ١٧٤١- ١٧٤٣م [1].

ويفسر هذا الدعم المتزايد لوالي دمشق وإسناد إمارة الحج إليه بالأهمية السياسية الكبيرة التي يكُنها السلطان العثماني لقافلة الحج الشام، لأنها المظهر الديني الذي يبرر السلطة السياسية على رعاياه المسلمين، ولأن أهم ما يجمع السلطان برعاياه المسلمين هو الدين الإسلامي وأن تهاونه في حماية القافلة وعدم إعطائها ما تستحق من الأهمية والمحافظة على سلامتها سيزعزع هيبته في نفوس رعاياه وممالكه المختلفة التي يجمع الدين بينها[2].

وترتب على والي دمشق بصفته أميرا على قافلة الحج الشامي مهام كثيرة يأتي في مقدمتها:

- قيادة القافلة بحكم وظيفته كقائد أعلى لها، هذا بجانب ترتيب عمليات شراء ونقل المؤن المرسلة مع القافلة، على الحصون والخانات الواقعة على طريق الحج[3].
- توفير الأمن والأمان داخل دمشق أثناء تواجد الأعداد الكبيرة من الحجاج والتي تتوافد إلى دمشق من جميع أنحاء الدولة العثمانية استعدادا للانطلاق مع قافلة الحج الشامي إلى الأراضي الحجازية.

= في تأمين سلامة قافلة الحج الشامي واحتجاج أهالي دمشق على تهاونه ، والثانية مابين ١١٥٤- ١١٥٦ه/ ١٧٤١- ١٧٤٣م ، انظر الشرعة : إبراهيم فاعور، سليمان باشا العظم والي دمشق، المرحلة الأولى ١١٤٦-١١٥١ ه / الموافق ١٧٣٤- ١٧٣٨م المرحلة الثانية ١١٥٤- ١١٥٦ه / الموافق ١٧٤١- ١٧٤٣م دراسة تاريخية موثقة ، مجلة الدارة (العدد ١ ، السنة ٣٤ ، ١٤٢٩ه /٢٠٠٨م) ، ص ١٨٧١٩١.

(١) بني يونس، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن، ص ٤٦.

(٢) لمعرفة المزيد عن أسماء الأمراء الذين تولوا إمارة قافلة الحج الشامي انظر الملحق رقم (٢)، ص١٣٧.

(٣) بيركهات: جون لويس، رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ترجمة: هتاف عبد الله،(بيروت: الانتشار العربي للطباعة والتوزيع ،١٤٢٦ه/٢٠٠٥)،ص٢٠٠٧.

- تسليم ونقل الإعانات النقدية والعينية المرسلة سنويا لأهالي الحرمين الشريفين، وترتيب توزيعها أثناء إقامته في مكة والمدينة [1].

- إعداد قافلتي الحج والمحمل وإمداد القافلة بالجمال والخيل والماء والطعام وتزويدها بالقوة العسكرية اللازمة لها للدفاع عنها ضد أي عدوان تشنه القبائل البدوية على طريق الحج الشامي.

- الإشراف على حراسة الحجاج في نزولهم وحمايتهم في الرحيل وإقامة الصلاة وغيرها.

- إعداد وتجهيز الآبار والمنازل (المحطات) التي ستتوقف فيها القافلة للاستراحة أو للتزود بالماء والمؤن.

- تأليف عشائر البدو بالهدايا والأموال. وتوزيع أموال الصرّة على أشراف الحجاز. وتوزيع أموال الصدقة وغلالها على فقراء الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

ثانيا : الموظفون العاملون في القافلة :

١. دوادار[2] أمير الحج :

من أهم معاوني أمير الحج[3] مهمته تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الأمور إضافة إلى تقديم المشورة له [4] وتقديم الأوراق إلى أمير الحج ليوقع عليها، كما كان بمثابة الشرطي حيث يطوف بالليل لتتبع أهل الريب واللصوص [5] كما أن له الحق إذا رأى من أمير الحج خللا

---

(١)وثيقة عثمانية، بخصوص الرسالة التي ترسل كل عام إلى أمير مكة مع أمين الصرة. رقم ١٠٢٠٥، C.DAH، بتاريخ ١١٧٢/٦/١هـ./ ١/٣٠ / ١٧٥٩م.

(٢) داودار: لفظ مكون من كلمتين . (دوا) عربية وهي الدواة بحذف التاء ، و (دار) فارسية ومعناها ممسك أو صاحب أو حافظ، فمعنى دوادار ممسك الدواة أو صاحبها . سليمان: احمد السعيد، الإدارة العثمانية في الولايات العربية،(القاهرة: دنا،١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م)،ص١٣١.

(٣) الرشيدي : أحمد، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق: ليلى عبد اللطيف أحمد ،(القاهرة : مكتبة الخانجي ،١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ، ص ٣٥.

(٤) بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني، ص ١٩٥.

(٥) سميرة، إمارة الحج في مصر العثمانية، ص ١٧٨.

في أقواله وأفعاله أن ينبه على ذلك ويعرفه طريق الصواب ويبين ما في قوله من خطأ حتى يسلم من اللوم [١] ويعين دودار أمير الحج طبقا لعدة شروط وصفات فلا بد أن يكون من عقلاء العسكر وشجعانهم ذو عقل ومروءة وأن يتصف بالفروسية والمعرفة [٢].

وكان للدودار عوائد فله قفطان مذهب من أمير الحج عند بذل مجهوده ووفاء خدمته بالإضافة إلى ما كان له على أمير مكة من النقد ما قدره مائة دينار وأمير ينبع ثلاثون دينارا. بالإضافة إلى ما يحصل عليه من أمير مكة وهي مجموعة كبيرة من الشياه والأغنام[٣].

٢. أمير الجردة :

ويلقب (باشه الجردة) أو (جرده جي) أو (أمير الملاقاه)، ومهمته هي الخروج لملاقاة القافلة في طريق عودتها إلى الشام وتزويدها بما ينقصها من المؤن [٤] خشية أن يكون ما عندهم قد نفد[٥] وكان باشا طرابلس قائدا للجردة في أكثر الأحيان[٦].

٢. أمير الركب :

وهو أحد الباشاوات العثمانيين. أو من رؤساء الأجناد مهمته قيادة الجند الذين يقومون بحراسة المحمل [٧].

---

(١)سميرة، إمارة الحج في مصر العثمانية، ص ١٧٨.

(٢)سميرة، المرجع نفسه ؛ بيومي ، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني ، ص ١٩٥.

(٣) بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني ، ص ١٩٥.

(٤) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١٠.

(٥) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٥٢.

(٦) بني يونس، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن، ص ٦٠.

(٧) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٤٩.

٣. **الكتخدا**[(١)]:

وهو وكيل الحاج [(٢)] ومهمته توزيع الحجاج على مختلف أقسام قافلة الحج. ومساعدة أمير الحج على حفظ النظام في القافلة [(٣)].

٤. **قاضي القافلة:**

الحاكم الشرعي الذي يعينه أمير الحج ليتعاطى الأحكام الشرعية بين الحجيج ذهابا وإيابا[(٤)]. كما يتولى أمر فض المنازعات والفصل في الخصومات التي كانت تقع بين الحجيج وممن عين قاضيا لقافلة الحج الشامي الشيخ حسن محمد البوريني سنه ١٠٢٠هـ/١٦١١م[(٥)].

---

(١)الكتخدا: صاحب البيت أو رب البيت وهو لفظ فارسي يطلقه الفرس على السيد الموقر وعلى الملك، ويطلقها الترك على الموظف المسؤول والوكيل المعتمد، ويقال خزينة كتخداسي أي أمين الخزانة. دهمان: محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، (بيروت — دمشق : دار الفكر ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص١٢٩.

(٢) بركات : مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية . دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات (١٥١٧- ١٩٢٤م) ، (القاهرة : دار غريب ،١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ، ص ١١٥.

(٣) فاروقي: ثريا ، حجّاج وسلاطين الحج أيام العثمانيين (١٥١٧-١٦٨٣) ، ترجمة : أبو بكر أحمد باقادر ، (بغداد — بيروت : منشورات الجمل ،١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م) ، ص ٦٥.

(٤) الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، ج١، ص ١٦٨.

(٥)الشيخ حسن محمد البوريني : وهو بدر الدين الحسن بن محمد بن محمد بن حسن الصفوري البوريني ولد في صفورية (قرية في فلسطين) سنة ٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م تعلم القرآن الكريم وفي سن العاشرة نزل مع والده إلى مدينة دمشق حيث درس الفقه في الجامع الأموي، ثم صار مفتيا للشافعية وفي عام ١٠٢٠هـ/١٦١١م ولي قضاء الحج الشامي، وتوفي في عام ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م . وقد تخطى الستين من عمرة . انظر البوريني :الحسن بن محمد، تراجم الأعيان من أبناء الزمان، تحقيق: صلاح الدين المنجد ،ج١ ، (دمشق : المجمع العلمي العربي ،١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م) ص٨ - ١٦؛ الزركلي، الأعلام، ج٢ ، ص ٢١٩؛ سميرة ، إمارة الحج في مصر العثمانية، ص ١٧٩.

٥. المفتي:

يجب ان يكون من الشاميين لأن مهمته تعليم الحجاج مناسك الحج[١] وإبداء الرأي في المسائل الفقهية عند استشارته فيها[٢].

٦. شهود المحمل الشريف:

ويعين له اثنان من أهل الخبرة والعدالة وممن له معرفة بالمهنة [٣] ، ويتم تعيينه عن طريق أمير الحج، وقد ارتبط عزلهما في بادئ الأمر بعزل قاضي المحمل، ولكن قرر بعد ذلك عدم عزلهما إلا في حالة الوفاة أو المرض، وذلك لكي تحفظ وقائع المسلمين والرعايا بالطرقات على تعاقب السنين [٤].

أما ما خصص من الأموال لشهود المحمل فكان أجرة جمل من جمال المحمل قدره أربعمائة نصفا كالقاضي، وجرايتان، أما عن العليق فتارة كان يصرف عليقة كاملة وتارة نصفها وتمنع في بعض الأوقات [٥] .

وفي القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجريين / السابع عشر والثامن عشر الميلاديين كانوا يحصلون على رواتب ثابتة مقابل السفر من أمير الحج بعد أن اتسعت عوائده [٦].

---

(١) بني يونس، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن، ص ٥٨.

(٢) عوض: عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سورية (١٨٦٤-١٩١٤م)، (القاهرة: دار المعارف،١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م)، ص١١٨.

(٣) الجزيري ، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، ج١، ص ١٦٩.

(٤) سميرة، إمارة الحج في مصر العثمانية ، ص ١٨١.

(٥) الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، ج١ ، ص ١٦٩ ؛ بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني ، ص ٢٠١.

(٦) بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني، ص ٢٠٢.

٧. **الميقاتي والمؤذن :**

الميقاتي هو الذي يختص بالإعلام بالوقت الذي مضى والباقي للقافلة أثناء سيرها في الطريق ويبين اختلاف جهة القبلة في بعض المراحل [١] ويكرر ما يلفظ به الإمام[٢] ويضبط مسير الركب وإقامته في المحطات[٣]. ويشترط فيه أن يكون من ذوي المعرفة ومن أصحاب القدرة على السهر للإحاطة بعلم ما مضى وما بقي ليلا [٤].

أما المؤذن فوظيفته الدعوة بالأذان والإقامة للصلوات الخمس على طول طريق الحج [٥] . وذلك في الوقت الذي يحدده الميقاتي[٦].

٨. **كاتب الصرة:**

وظيفته الاحتفاظ بدفتر الصرة ويسجل ما يطرأ على ذلك من تغيير في أسماء المستحقين سواء بالانحلال أو الإفراغ [٧].

كما يتولى كتابة مراسلات أمير الحج وأوامره [٨] وما يتسلمه أمير الحج من صرر عينية ونقدية [٩] .

---

(١) سميرة، إمارة الحج في مصر العثمانية ، ص ١٩٢.

(٢) الرشيدي، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج، ص ٣٦.

(٣) سميرة، إمارة الحج في مصر العثمانية، ص ١٩٢.

(٤) الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة،ج١، ص ٢٠٤.

(٥) الجزيري، المصدر نفسه ؛ سميرة، إمارة الحج في مصر العثمانية ، ص ١٩٢.

(٦) بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني، ص ٢٠٢.

(٧) الحزماوي محمد ماجد صلاح الدين، الصرة السلطانية لعلماء القدس الشريف وفقرائها في العهد العثماني (١١١١-١٣١٧هـ / ١٧٠٠- ١٩٠٠م) ، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، (العدد ٤/ المجلد ٤ / ١٤٣١هـ/٢٠١٠م) ، ص ٧٣.

(٨) بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني، ص ٢٠٣.

(٩) سميرة، إمارة الحج في مصر العثمانية ، ص ١٨٣.

ويتغير صاحب هذه الوظيفة كلما عزل أمير الحاج عن وظيفته في كل عام [1].

٩. أمين الصرة:

وهو الذي يوصل صدقات السلطان والأمراء إلى فقراء الحرمين الشريفين، ويسمى (الصرة أميني) أي أمين الصرة أو أمين المال[2] ، وكان يتم اختياره من العسكريين من ذوي الرتب العالية أو من الموظفين الإداريين أو من علماء الدين. ويشترط في اختياره أن يكون مشهودا له بالتدين والصدق والخلق الرفيع وكانت وظيفة أمانة الصرة وظيفة تشريف إذ يطمح الكثير من رجالات الدولة الحصول عليها علما بأن تخصيصاتها المالية من الدولة كانت قليلة وكان الأمناء أحيانا يضطرون للصرف من أموالهم الخاصة [3].

وكان السلطان العثماني يرسل في كل عام مع امين الصرة رسالةً إلى شريف مكة بها توصيات بالحفاظ على أمن وسلامة الحجاج ففي عام ١١٧٢هـ/١٧٥٨م أرسل السلطان مصطفى الثالث (١١٧٠- ١١٨٧هـ/١٧٥٧-١٧٧٤م) برسالة إلى شريف مكة جعفر بن سعيد (١١٧١- ١١٨٣هـ/١٧٥٨-١٧٧٠م) مما جاء فيها: "إلى جناب مآب الإمارة... المنتسب إلى السيادة ذي النسب الطاهر... لتعلم أنه عليك أن تهتم بأمر أمن وسلامة الحجاج والزوار الذين يأتون للطواف ببيت الله الحرام..." [4].

---

(١) بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر أبان العصر العثماني، ص ٢٠٣.

(٢)وثيقة عثمانية : بخصوص طلب إرسال الهدايا والبريد من مكة في لفافات خاصة مع أمين الصرة والمبشرين، رقم ١١٣٠/٢٣ C.DAH بتاريخ ١١٤٢/٣/١٥هـ / ٢٨/ ٢/ ١٧٢٩م؛ العبد، حوادث بلاد الشام والإمبراطورية العثمانية، ص ١٢٩- ١٣٨.

(٣) الحزماوي الصرة السلطانية لعلماء القدس الشريف، ص ٧٣.

(٤)وثيقة عثمانية، بخصوص الرسالة التي ترسل كل عام إلى أمير مكة مع أمين الصرة. رقم ١٠٢٠٥، C.DAH، بتاريخ ١١٧٢/٦/١هـ./ ١/٣٠ / ١٧٥٩م.

١٠.صراف الصرة:

لقد كان النظام المألوف في الدولة العثمانية أن هناك صرافين للصرة. حيث استمر هذا الحال حتى عام ١١٧٨هـ/ ١٧٦٥م ومنذ تلك السنة حتى أواخر القرن الثامن عشر لا تشير الوثائق إلا لوجود صراف واحد بعد أن كانت تنص على وجود صرافين للصرة (١).

ومن أهم اختصاصاته صرف الأموال المقررة إلى أصحابها وذلك عندما يتسلمها من أمير الحاج ومباشرة الصرة في الحجاز فيقوم بتوزيعها على المسئولين في المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوي بالمدينة المنورة (٢) كذلك صرف ما يلزم شراؤه لمؤنه العساكر والجمال والبغال (٣).

١١. الجمّالون:

هي طائفة تختص بتقديم الجمال لأغراض الحج، ولكنها لا تتدخل مباشرة بنقل الحجاج، فالجمال التي يقدمها الجمّالة كانت لأغراض نقل الحجيج والتحميل(٤).

حيث يتطلب نقل العدد الضخم والكبير من الحجاج والذي يتراوح عددهم مابين خمسة عشر والعشرين ألف حاج من دمشق إلى بيت الله الحرام، وما يرافقهم من القوات الخاصة بهم عدداً كبيرا من الجمال كل سنة لنقلهم إلى الأراضي المقدسة ثم العودة إلى دمشق (٥) وهو أمر ليس سهلا لتوفير ذلك العدد الكبير من الجمال خاصة وأن الجمال هي الوسيلة الرئيسية في النقل. ومن هنا جاء دور الجمّالة في توفير الأعداد الكبيرة من الجمال إذ اشتهرت قرى حوران

---

(١) سميرة، إمارة الحج في مصر العثمانية، ص ١٨٢.

(٢)وثيقة عثمانية، بخصوص الرسالة التي ترسل كل عام إلى أمير مكة مع أمين الصرة. رقم ١٠٢٠٥، C.DAH، بتاريخ ١١٧٢/٦/١هـ./ ١/٣٠ / ١٧٥٩م.

(٣) سميرة، إمارة الحج في مصر العثمانية، ص ١٨٢.

(٤) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١٥.

(٥) رافق، المرجع نفسه . ص ١٤ ؛ كيال، محمل الحج الشامي، ص ٦٤.

التي كان سكانها بدوا أو من أصول بدوية بتوريد آلاف الجمال إلى القائمين على شؤون القافلة مما سهل نقلها وأتى بالفوائد المالية لأصحاب الجمال[1].

والجمّالة في الغالب نحيفو الجسم، رفيعو الساقين قصار القامة، يكاد أن لا يكون في جسمهم عضل بالمرة، أما عظمهم فهو الحديد أو أشد صلابة، ولهم القدرة على العدو بحيث لا يلحقهم فيه أحد [2].

وفي بعض الأحيان يقوم الجمّالة بسرقة القافلة. إذ يقطعون الجمال من القافلة أثناء سيرها متظاهرين بإصلاح حمولتها. حتى إذا ابتعدت القافلة عنهم أوقفوا ركابها وسلبوا المتاع وكثيرا ما يفرون بجمالهم وسرقاتهم إلى حيث أرادوا [3].

وفي أحيان أخرى كان يتم اتفاق بين قطاع الطرق وبعض الجمّالين لإبطاء سير بعض الجمال التي يركبها الحجاج الذين يغلبهم النوم أثناء السير فيتأخر الجمل عن القافلة ويهاجمه قطاع الطرق ويسلبون ما معها من الأمتعة [4].

---

(١) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني،، ص ١٣.

(٢) البتنوني، الرحلة الحجازية ، ص ٢١٤.

(٣) سميرة، إمارة الحج في مصر العثمانية ، ص ٢١٠.

(٤) المرجع نفسه .

١٢.المقوّمون:

وهم من يتعهدون بمشال الركب، ويكونون مستعدين لوجود عدد وافرٍ من الجمال وما يلزمها من عدتها –كالخيم – والتخوت – والمحاير[١] – والشباري[٢]– وغيرها للركوب بها والاستئجار على حسب الحاجة والحال [٣].

وعند اقتراب موسم الحج يستعد المقوم ويتهيأ لكل ما يلزم فيقصده من يرغب في أداء فريضة الحج ويستأجر منه ما يلزمه لركوبه ومأكله وراحته، كلا على حسب سعته وعند حلول السفر يتم الاتفاق بين المقوم والحاج المستأجر على دفع الأجرة سواء كان في الذهاب فقط أم في الذهاب والإياب معا. حيث تختلف الأجرة عن بعضها البعض [٤].

ولحرفة المقوّمين شيخها الخاص وانتظامها في طائفة لها شيخها دليل على أهمية هذه الحرفة وضرورة مراقبة أفرادها والعاملين فيها ذاتيا وحرفيا، والحفاظ على سمعتها وشرفها من قبل شيخ الطائفة وبمعرفة القاضي الشرعي حتى لا تسوّل لأي من ضعاف النفوس الأطماع بالخروج على عادات وتقاليد الحرفة أو الإساءة إلى سمعتها وخوفا من تقصير المقوم في خدمة زبائنه أو

---

(١) المحاير: جمع محارة وهي نوع من الهودج يحمل راكبا في كل من الجانبين وعليه غطاء يخفف عنه برد الليل ووهج النهار. أطلق عليها اسم الشقدوفة في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين.العظم: خالد ، مذكرات خالد العظم ، ج١ ، ط٣(بيروت : الدار المتحدة للنشر ،١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م) ، ص ١٣؛ رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١٤.

(٢) الشباري : جمع شبرية وهي عبارة عن صندوق خشبي يوضع على الجمل. في كل جانب صندوق يجلس فيه راكب واحد والفرق بين هذه الوسيلة وبين المحارة أو المحفة أن راكبها لا يستطيع فيها التمدد بشكل مريح كما لا يشاهد زميله المسافر معه . وكان الفقراء أو أصحاب الدخل المحدود يرغبونها لرخص أجرتها وتكلفتها. القاسمي: محمد جمال الدين، والعظم: خليل، قاموس الصناعات الشامية، ج٢، (دمشق : دار طلاس ،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ص ٤٢٠–٤٦٥.

(٣) المكناسي، رحلة المكناسي، ص٢٥٠؛ السنوسي: في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج، ص ٢٨٧.

(٤) كيال، محمل الحج الشامي ، ص ٦٦.

هربه في الطريق [1]، حيث يتعهد المقوّمون أمام القاضي الشرعي قبل انطلاق القافلة بأنهم يضمنون بعضهم بعضا، فإذا اخل أحدهم بشروط العقد مع المسافرين معه ضمنه زملاؤه وضمن الجميع شخص واحد لحصر المسؤولية [2].

١٣. العكامة:

العكام هو الذي يقود الجمل ويخدم راكبيه [3]يقوم بصناعة صيوان[4] أمير الحج وخيام سائر ركب الحاج، ويتصف بالجلد والقوة على المشي في القفار والأوعار يستخدم بأجرة معلومة عند المقوم في سفر الحاج. يسلمه جملا وعليه المحارة يركبها شخصان يقود الجمل بهما في الطريق [5].

ومهمتهم خدمة الحجاج والحفاظ على أمتعتهم ومساعدتهم في الحل والترحال والعناية بأمور الجمال بحيث لا يقوم الحاج بأدنى جهد، وللعكامين زعيم يرجعون إليه وأجرتهم تختلف على حسب حال الحاج، أو كثرة الراكبين وقلتهم [6] فإذا كان الحاج من الأغنياء المترفين فيخدمهم الخدمة الصادقة وينال منهم الإكرام التام [7].

١٤.الجوخدار:

(١) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١٤؛ كيال، محمل الحج الشامي، ص ٦٦.

(٢) رافق، المرجع نفسه، ص ١٤.

(٣) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني ، ص ١٤-١٥.

(٤) صيوان: الخيمة الكبيرة ، القاسمي والعظم ، قاموس الصناعات الشامية ، ج٢، ص ١٢٩.

(٥) القاسمي والعظم ، قاموس الصناعات الشامية، ج٢ ، ص ٣١٨.

(٦) السنوسي، في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج ، ص ٢٨٨.

(٧) كيال، محمل الحج الشامي، ص ٦٨.

الجوخدار أو الجوقدار[1] وهو حامل الرسائل والمبشر بسلامة الحج، يدخل دمشق قبل عودة الحجاج بأسبوع تقريبا ليبشر أهلها بسلامة الحاج إذا كان قد عاد سالما، أو يطلب منهم النجدة إذا تعرضت القافلة للعدوان[2] حيث يفترق عن الحجاج في معان و أحياناً في تبوك [3].

وكان عدد الجوقدارين تسعة تقريبا ولهم رئيس يطلق عليه (باش جوقدار)[4] وهو من كبار الأغوات[5].

وكان يحمل الرسائل والهدايا المرسلة من بلاد الحرمين الشريفين إلى اسطنبول، وكذلك الهدايا والرسائل المرسلة من السلطان العثماني لأهالي مكة، ولكن الكثير من الرسائل والهدايا كانت تتعرض للضياع أو تتأخر في الوصول إلى استانبول مما دفع الدولة العثمانية إلى إصدر نظام جديد في عام ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م ينص على تقسيم الرسائل والهدايا إلى أربعة أقسام، القسم الأول منها هو هدايا أهالي مكة والمدينة المرسلة إلى القصر الهمايوني والباب العالي وشيخ الإسلام والصدور الكرام وسائر رجال الدولة تسلم إلى المبشرين ورؤساء المباشرين. والثلاثة أقسام الباقية قسم منها يعطى لأمين الصرة، والقسمان الباقيان يعطيان رئيس السقائين[6].

---

(١) الجوقدار: لفظه فارسية بالأصل معناها صاحب الجوخ دلالة على المكانة الرفيعة التي كان يتمتع بها صاحب هذا اللقب ، بليبلة : ثائرة رشيد حسني ، قراءة معمارية في السجلات العثمانية للمحكمة الشرعية في نابلس في الفترة (١٦٥٥-١٨٠٧م) . (نابلس : جامعة النجاح الوطنية ،١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م) ، ص٢١.

(٢) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٥٣.

(٣) العبد، حوادث بلاد الشام والإمبراطورية العثمانية، ص ٧.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الأغوات: مفردها آغا وهو الرئيس – السيد رئيس قسم الخدمات – والمقصود هنا رؤساء الجند ، الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٣٨ ؛ إينالجك : خليل ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ترجمة : محمد الأرناؤوط ، (بيروت : دار المدار الإسلامي ،١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م) ، ص ٣٣٣.

(٦)وثيقة عثمانية : بخصوص طلب إرسال الهدايا والبريد من مكة في لفافات خاصة مع أمين الصرة والمبشرين، رقم C.DAH ١١٣٠/٢٣ بتاريخ ١١٤٢/٣/١٥هـ / ٢٨/ ٢/ ١٧٢٩م.

١٥. **المهاترة:**

وهم حاملو الخيام [١] وحرفة المهتار من متعلقات حرفة المقوم يستخدم في موسم الحج [٢] ووظيفته القيام على نصب خيام الحجاج الموجودين عند المقوم عند نزول الحجاج للراحة في منزل من منازل الطريق إلى مكة المكرمة. ومن ثم فك هذه الخيام عند سير الركب [٣] فهو يسبق القافلة في كل مرحلة ليجهز للحجاج الخيام ثم يتأخر عن الركب لفك الخيام، وله أجرة معلومة عند المقوم [٤].

١٦. **الشيالون:**

تطلق هذه الحرفة على من كان عنده بعض من الجمال يحمل عليها من أراد مع متاعه من الحجاج [٥] فيقدم له جملاً يركبه بعد اتفاق مسبقٍ بينهم على المبلغ المعلوم، وخدمة هذه الجمال وعلفها أثناء الطريق تكون على صاحبها [٦].

١٧. **السقاؤون:**

ويسمون (السقاباشية) ومهمتهم هي تأمين المياه للحجاج وتوفيرها للطالبين طوال مدة سير القافلة، وهم يسبقون القافلة ويأتون بالمياه من منابعها ومناهلها لينهل منها الحجاج ويسقون أنعامهم[٧].

---

(١) السنوسي، في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج، ص ٢٨٩.

(٢) القاسمي والعظم، قاموس الصناعات الشامية، ج٢، ص٤٧٤.

(٣) كيال، محمل الحج الشامي، ص ٦٨.

(٤) القاسمي والعظم، قاموس الصناعات الشامية، ج٢ ، ص ٤٧٤.

(٥) المصدر نفسه، ج٢ ، ص ٢٦٣.

(٦)المصدر نفسه، ج٢ ، ص ٤٧٤.

(٧)رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١٥؛كيال ، محمل الحج الشامي ، ص ٦٨.

١٨. **المشعلجية:**

وهم حملة المشاعل الذين يرافقون الحجاج على طول طريق قافلة الحج ليلا ومهمتهم هي إضاءة الطريق ليلا في المنازل التي يتوقف فيها الحجاج للراحة أو الاستجمام[١].

وهذه المشاعل تشبه إلى حد ما المواقد الحديدية [٢] فهم يضعون في هذه الأواني الحديدية بعض الأخشاب الجافة التي خصصوا بعض الجمال لحملها ولهذه المشاعل أشكال مختلفة وأعداد مختلفة فبعضها بيضاوي وبعضها ثلاثي[٣].

١٩. **المزيرباتية:**

وهم الباعة والمتعيشة الذين يرافقون القافلة إلى المزيريب ومنهم من يسبق القافلة إليها فيقيمون أسواقا مؤقتة خلال إقامة الحجيج في المزيريب. ريثما يتم استكمال وصول أفواج الحجيج تباعا حتى تكتمل القافلة وتكون جاهزةً للانطلاق[٤].

ثم بعد ذلك يعودون إلى دمشق فيحدثون أهل الحاج بأنهم بأفضل حال وأنهم في طريقهم لأداء فريضة الحج [٥].

---

(١) كيال، محمل الحج الشامي، ص ٦٨.

(٢) المواقد الحديدية: يقصد بها الأواني الحديدية التي يتم إشعال النار داخلها. بتس: جوزيف، رحلة جوزيف بتس الحاج (يوسف) إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة ، ترجمة ودراسة : عبد الرحمن بن عبد الله الشيخ ، (مصر: الهيئة المصرية العامة ،١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ، ص ٦٨.

(٣) المصدر نفسه .

(٤)كيال، محمل الحج الشامي، ص ٦٩.

(٥) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٥٢.

الفصل الثاني

وسائل نقل الحجاج وأحمال القافلة

المبحث الأول :وسائل نقل الحجاج

المبحث الثاني : أحمال القافلة

المبحث الثالث : تكاليف الحج

المبحث الرابع : أعداد الحجاج

المبحث الأول: وسائل نقل الحجاج

اعتمد الحجاج في نقلهم للأراضي المقدسة عبر القافلة على الجمال والبغال والخيول ولكن الجمال كانت الوسيلة الأولى والرئيسية في نقلهم للحجاز.

فالجمال وسيلة الإنسان العربي في تنقله وشربه وغذائه، إذ أدت دورا مهما في تاريخ العرب عبر الصحاري والفيافي، فرغم الموارد الشحيحة إلا أن عطاءها كان كبيرا، فكانت أهم وسيلة للحركة والنقل [1]. وكان لها الدور الكبير في نقل الحجاج عبر صحاري الجزيرة العربية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وقد اشتهرت قرى حوران التي كان سكانها بدوا أو من أصول بدوية بتقديم آلاف الجمال للقائمين على شؤون القافلة مما سهل نقلها، في حين كسب أهالي حوران الأموال الكثيرة مقابل تقديمهم تلك الجمال [2] حيث نقل لنا الدكتور عبد الكريم رافق عن وثائق دمشق الشرعية أسماء عدد من مشايخ هذه القرى، نذكر منهم الشيخ شهاب الدين بن حمد المحتمل شيخ قرية الطوه (أو الطرا)[3] والشيخ أحمد بن عمر المحاميد والشيخ بكار بن موسى قطيفان شيخ قرية درعا، والشيخ محمد بن نصر الله شيخ قرية بصرى، والشيخ حسن بن علي الغزالي شيخ قرية خربة الغزالة [4] كما برزت قرى عراضه وملجم وطفس[5] في عملية تقديم

(١) آل ضرمان: عبد العزيز بن ضرمان، والسبيعي: سند بن مطلق، الإبل أسرار وإعجاز، تقديم: سعيد بن محمد با إسماعيل ، ط٢، (الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) ، ص٥.

(٢) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني،ص ١٥.

(٣) الطرا: قرية من ناحية حوران. الغنيمي،دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق المخطوط ، ص ٩١.

(٤) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١٣.

(٥) قرى تتبع محافظه درعا في سوريا. بني يونس، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن، ص ١١٣.

الجمال وشاركتها كذلك طائفة السخانه[1] من نواحي حماة كما قامت أيضا قبيلة السردية وبني صخر[2] بتزويد القافلة بالجمال في أوقات متفرقة [3]إذ استأجر عثمان باشا [4] والي الشام وأمير الحج المئات من الجمال بلغت حوالي خمسمائة جمل من مشايخ قرى حوران لنقل أحماله من المزيريب إلى المدينة المنورة [5].

وقد اتبعت الجمال في سيرها النظام الذي تتبعه القافلة وهو نظام التقطير حيث تسير الجمال خلف بعضها البعض بعد أن يتم تقسيمها إلى مجموعات مستقلة كل أربعه جمال تمثل مجموعة واحدة مربوطة ببعضها البعض ولذلك أطلق عليها اسم (القطار)[6].

وقد جرت العادة أن يوضع في أعناق الجمال التي تسير في الأمام أجراس أو تربط هذه الأجراس في سقانها، فتحدث أصواتا موسيقية مع خطوات الجمال عندما تتحرك فتقطع بهذا الصوت سكون الليل وتحث الجمال على السير[7].

---

(١) طائفة السخانه: هم سكان قرى وسط بادية الشام (كتدمر- وأرك - والسخنه) وهذه القرى كأنها جزائر منثورة وسط بحر ضخم. وذكرها ياقوت في معجمه باسم المناظر. وأطلق عليهم السخانه نسبة إلى السخنه إحدى هذه القرى . زكريا : أحمد وصفي، عشائر الشام. ط٢ ، (بيروت – دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ص٢٦.

(٢)بني صخر أو الصخارنة: ترجع إلى قبيلة طي من قحطان كانت تقطن في جهة العلا بالحجاز فرحلت إلى بلاد الكرك بسبب مضايقة بعض عشائر الحجاز لها، ثم انتقلت إلى البلقاء فضايقتها العدوان فارتحلت إلى جهات غزه واتحدت هناك مع عشيرة الوحيدات. كحاله : عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ج٢ ، ط٨ ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ص ٦٣٤.

(٣) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١٥.

(٤) عثمان باشا: يلقب بأبو طوق ولي إمارة الشام مرتين الأولى بين ١١٣٢هـ/ ١٧١٩م و ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م والثانية بين ١١٣٦هـ/ ١٧٢٣م و ١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م وكان أحد أبنائه أثناء ولايته الثانية على الشام يحكم ولاية صيدا وقد قام أبو طوق بكثير من الظلم والابتزاز في دمشق فعزله السلطان أحمد الثالث عام ١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م وعين إسماعيل باشا العظم مكانه. رافق، العرب والعثمانيون ، ص ١٩٨.

(٥) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني ص ١٢.

(٦) سميرة ، إمارة الحج في مصر العثمانية، ص ٢٠٤.

(٧)المرجع نفسه.

و تنقسم الجمال في قافلة الحج الشامي من حيث تخصصها إلى:

١. جمال المحمل:

وكانت تختص بأحمال المحمل وما يتعلق به ويقدر عددها بثمانية وعشرين جملا [١] ، وتمتاز هذه الجمال بالقوة والصلابة، ولا تستخدم لأي عمل سوى للحج[٢].

٢. جمال الركوب:

كانت هناك عدة أنواع من المطايا يتم من خلالها نقل الحجاج إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج منها التخت وهو عبارة عن كوخ خشبي ذو باب ونافذتين يحمل على جملين أو بغلين متقابلين ويجلس فيه رجل واحد مرتاحا [٣] كان يستأجره الأغنياء إذ كان يدل على الثروة والمكانة الاجتماعية في أغلب الأحيان. وهناك وسيلة أخرى يستعملها علية القوم وأهل الثراء تعرف ب(التختروان) وهي تصنع من الخشب وجوانبها مسترة بمجدول الخيزران. وفي كل جانب شباك يمكن للجالس أن يطل منه وله أربعة سواعد ليحمل بها على الدابة [٤] . أما متوسطو الدخل فقد كانوا يستخدمون المحارة والشقدوفة والمحفة وكلها أسماء لوسيلة نقل واحدة استخدمها متوسطو الدخل كوسيلة نقل إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج [٥]وهي عبارة عن محمل على شكل السرير يتألف من شقين من الخشب تغطى بالقماش وتربط بالأحزمة على ظهور الجمال ويوضع على كل جمل محارتين أو محفتين، ويوجد بين المحارتين نافذة يتمكن

---

(١)سميرة ، إمارة الحج في مصر العثمانية، ص ٢٠٧.

(٢) صواش: نوزاد، المحمل الشريف أشواق إلى ديار الحبيب صلى الله عليه وسلم، مجلة حراء ، (العدد ١ ، ١٤٢٦هـ/ أكتوبر – ديسمبر ٢٠٠٥م)، ص ٢٧.

(٣) الغنيمي: دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق المخطوط ، ص ١٠٠.

(٤) رفيع: محمد عمر ، مكة في القرن الرابع عشر الهجري ، (مكة : نادي مكة الثقافي الأدبي ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ص١١٥.

(٥) القاسمي والعظم، قاموس الصناعات الشامية، ج٢ ، ص ٤٢٠.

الحجاج من خلالها من التحادث خلال الطريق وأحيانا كان يوضع في إحدى المحفتين إن لم يكن يوجد راكب بعض الأحمال لتحقيق التوازن [(١)] في حين فضل أصحاب الدخل المحدود استخدام الشبرية وهي عبارة عن صندوق خشبي يوضع على الجمل. في كل جانب صندوق يجلس فيه راكب واحد والفرق بينها وبين المحارة أن راكبها لا يستطيع التمدد فيها بشكل مريح كما لا يشاهد زميله المسافر معه[(٢)].

وكان لأهل النّعم والترف في ركائبهم على الجمال قباب تظللهم بديعة المنظر وقد نصبت على محامل كانت لركابها من الرجال والنساء كالأمهدة للأطفال تملا بالفرش الوثيرة، ويقعد فيها الراكب مستريحا كأنه في مهاد فسيح، وبإزائه مثل ذلك من الترف في الشقة المقابلة[(٣)].

٣. جمال الحمل :

ويقال لها العصم[(٤)]. تحمل المتاع والصناديق وأكياس الحبوب وغيرها ويركب فوقها رجل واحد أو رجلان إذا كان المتاع قليلا [(٥)] وأجرة العصم في الغالب تكون ثلثي أجرة جمل الركوب إذ يكون من الجمال القوية والمتينة، ويتيسر له حمل ما فوقه من الأمتعة وليس لها أجره محددة،

---

(١) الغنيمي، دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق المخطوط، ص ١٠٠-١٠١.

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٠١.

(٣) كيال، محمل الحج الشامي، ص ٦١.

(٤) العصم : هو الحفظ والوقاية ، وسمي بالعصم لحفظة للمتاع ، الفيومي: أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ج٢ ، (بيروت : المكتبة العلمية ، د.ت) ، ص ٤١٤.

(٥) المكي: محمد طاهر الكردي ، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، ج٢، ط٢، (بيروت : دار خضر ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ، ص٣١٤- ٣٠٣.

حيث يقدرها السلطان كل سنة باتفاقه مع الوالي[1] وتتميز جمال الحمل بالقوة الجسمانية وتحملها للأحمال الثقيلة [2].

٤. جمال السحابة[3]:

وهي الجمال المختصة بحمل المياه المعدة فقط لشرب الحجاج والفقراء، ويبلغ عددها أربعين جملا؛ ثلاثون جملا لحمل سحابة الماء العذب المعدة للفقراء على طريق الحج، وخمسة جمال لسقاباشى السحابة، وجمل لحمل الشمع والسكر، وجمل لضوئي السحابة، وثلاثة جمال لسقائي السحابة [4].

---

(١)ا المكي ، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، ص٣١٤- ٣٠٣.

(٢) البتنوني، الرحلة الحجازية ، ص ٢١٣- ٢١٤.

(٣) السحابة: هي المياه المحمولة على الإبل والمعدة لشرب الحجاج والفقراء ، سميرة ، إمارة الحج في مصر العثمانية ، ص ٢٣٧.

(٤)سميرة ، إمارة الحج في مصر العثمانية ، ص ٢٠٩ .

المبحث الثاني: أحمال القافلة

من الطبيعي والمألوف أن لا تخلُ قافلة من قوافل الحج من الأحمال والبضائع التي تحملها ظهور الجمال ذهابا وإيابا إذ تنوعت الأحمال التي حملتها قافلة الحج الشامي من دمشق للحجاز حيث أشارت المصادر إلى أنواع البضائع وكمياتها التي حملها الحجاج معهم ، حيث ضمت البضائع بصورة رئيسية الأحجار الكريمة والقهوة والمنسوجات والتوابل [(١)] كما ضمت القافلة أيضا الحطب والمياه والعلف للدواب والطحين والحبوب والأرز واللحوم والخضار المجففة والمربيات وما شاكلها. وكان يتم تمويل القافلة بهذه البضائع والسلع عن طريق أصحاب تلك الحرف الذين يتم التعاقد معهم في المحكمة الشرعية إذ يتضمن العقد طريقة تقديم السلع وطريقة الدفع وكانوا يبرئون ذمة الوالي في المحكمة نفسها عندما يتسلمون كامل مستحقاتهم[(٢)] .

ومن أهم السلع التي تتزود بها القافلة هو البكسماد أو البقسماط هو عبارة عن كعك على شكل قوالب، وكان النوع الجيد منه يصنع من طحين خاص ومن صفاته أن يكون يابسا، وأن لا يكون داخلة طريا، أي أن يكون ظاهره كباطنه، وكان الحجاج يبلونه عند أكله[(٣)] وقد نشطت صناعة البكسماد في دمشق. وبلغت مبيعاته أثناء الحج مئات وألاف القناطير[(٤)] فمثلا اشترى حسن باشا أمير الركب الشامي في عام ١١١٩هـ/ ١٧٠٨م مقدار ٧١٥ قنطارا من البكسماد من طائفة البكسمادية بدمشق لاحتياجاته[(٥)].

كما خصصت كميات كبيرة من الحنطة والشعير من سناجق ولاية الشام لتمويل القافلة وقد ذكر الدكتور عبد الكريم رافق وفق سجلات غزة الشرعية انه نقل من شونة غزة إلى بندر

(١) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١٩.

(٢) الغنيمي، دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق المخطوط، ص ٩١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٩١-٩٢.

(٤) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١٩.

(٥) المرجع نفسه، ص ١٢.

معـان لتمويـل قافلـة الحـج الشـامي مقـدار ١٨٦٤ كيلـة شـعير بالكيـل المجيـدي[١] ومقـدار ١٠٩٩١ كيلة حنطة [٢] .

كما حمل الحجاج الأروام[٣] معهـم إلى الشام والحجاز عدة أنواع من السلع أشارت لها إحدى الوثـائق الشـرعية كمـا ذكـر الـدكتور عبـد الكـريم رافـق بعضـا منهـا في عـام ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م ، وذكر بأنها مجموعة أحمال من الشال والزعفران تبلغ قيمتها عدة آلاف من القروش [٤].

وكانـت القافلـة تضـم أيضـا الزيـوت والشـموع والميـاه العطرية (كمـاء الـورد ومـاء الزهـر) الـذي ستغسـل بـه الكعبـة الشـريفة [٥] ، وكـان يـؤتى بـالزيوت مـن قريـة (كفرسوسـة) في داخـل ظروف مزخرفة، أمـا الشـموع فتختلـف أطوالها ويبلـغ عـددها أربعة شموع اثنتين للكعبـة واثنتـين للحجرة النبوية الشريفة [٦] .

حملـت قافلـة الحـج العـائدة مـن الحجـاز إلى دمشـق عـدة سلع منهـا السـنا – وهـو نبـات ملين اشتهرت به منطقة مكة المكرمة فعرف بالسنامكه[٧].

---

(١) تزن كيلة الشعير ٢٢،٢٥ كيلو غرام ، رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص١٢.

(٢) تزن كيله الحنطة ٢٥،٢٧ كيلو غرام، المرجع نفسه.

(٣) الحجاج الأروام :هم الحجاج الوافدون من بلاد الأناضول حيث سكن هذه المنطقة قبل العثمانيين الروم البيزنطيون.وقد أشار العرب منذ الفتوحات الأولى إلى البيزنطيين باسم الروم وحين زال الحكم البيزنطي عن الأناضول وحل محلة حكم السلاجقة. ثم العثمانيين ، فقد تعبير (روم) مدلوله السياسي ولكنة لصق بالمنطقة من الناحية الجغرافية، رافق، المرجع نفسه ، ص ٢٢ ؛ وكالة أنباء التقريب(تنا): مواكب الحج الشامي استعدادا يبدأ من الفطر ، مقال ، صحيفة وكالة أنباء التقريب ، دمشق ،٢٧/ جمادى أول/ ١٤٣٢هـ/   ٢٥/ أكتوبر / ٢٠١١م .

(٤) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني،ص١٩.

(٥) الغنيمي، دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق المخطوط ، ص ٩٥.

(٦) المرجع نفسه.

(٧) عزة، خدمات الحج في الحجاز في العهد العثماني،ص ١٧١.

ولعل أشهر ما أتت به قافلة الحج الشامي بعد عودتها من الأماكن المقدسة من منتجات شبة الجزيرة العربية هو البن اليمني حيث بلغت كمية المستورد منه عن طريق الحجاز عام ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م مثلا ستمائة كيس أدى طرحها في السوق إلى هبوط سعر البن في بلاد الشام(١).

كما حملت القافلة أيضا المنسوجات والتوابل والعطور والأحجار الثمينة المستوردة من الهند عن طريق البحر الأحمر إلى جدة، ومنها نقلت إلى مكة المكرمة (٢) ومن هنا نلاحظ مدى مساهمة قافلة الحج الشامي في التجارة الدولية.

(١) عزة، خدمات الحج في الحجاز في العهد العثماني،ص ١٧١.

(٢) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ٢٠.

المبحث الثالث: تكاليف الحج

اختلفت تكاليف الحج تبعا لاختلاف وسائل النقل والخدمات المقدمة لكل حاج قياسا على إمكانياته المادية وطبقته الاجتماعية، وقد تراوحت بين السبعين والمائة قرش [١] وهو سعر لم يكن في مقدور الكثيرين من أصحاب الدخل المحدود حتى فئة العلماء الذين كان وضعهم المادي أحسن من غيرهم نظرا للوظائف الدينية التي شغلوها، والتي رصدت لها الاعتمادات من مال الوقف، فقلما ذهب احدهم إلى الحج أكثر من مرة بسبب النفقات الباهضة المترتبة على ذلك [٢].

ومن المفيد أن نذكر أن سعر العودة إلى دمشق كان أغلى من سعر الذهاب وربما يفسر ذلك بعامل الاضطرار[٣].

وقد سجلت المحكمة الشرعية بعض عقود الاتفاق التي تمت بين الحجاج والمقومين حسما لأي خلاف قد يقع بينهم، إذ شملت هذه العقود الخدمات التي يلتزم المقوم بتقديمها للحجاج والمبلغ الذي يدفعه الحاج جراء هذه الخدمة وطريقة الدفع، وتضمنت قائمة الخدمات إضافة لتأمين الطعام والشراب والمأوى وطريقة الدفع إما فورية أو مؤجلة أو بالتقسيط[٤].

---

(١) هو مبلغ كبير قياسا على أسعار العقارات في ذلك الوقت . فقد بيعت دار في محلة القبيبات تشمل على سبع مساكن من منافع مبنية من الطين بمبلغ ٨٢ قرش فضة في عام ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م . كما بيعت أرض بقرية البلاطة بمبلغ مائة قرش وبيعت دار تشمل على ساحة سماوية ومربع صغير وسقيفة ومسكن وطبقة على باب الدار ومشرقة ومنافع وحقوق شرعية بمبلغ ١٨١ قرش. لذلك يمكن القول إن أسعار البيوت التي سكنتها الفئات الفقيرة والمتوسطة تراوحت بين ٥٠ و ٢٠٠ قرش ولذلك نرى أن تكلفة الحج مقارنة بأسعار العقارات كانت عالية جدا. الغنيمي، دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق المخطوط ، ص ١٠١.

(٢) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١٦.

(٣) عزة، خدمات الحج في الحجاز خلال العهد العثماني، ص ١٦٦.

(٤) الغنيمي، دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق المخطوط، ص ١٠٠ .

إذ عاقد الحاج أحمد الطحان من أهالي حلب الحاج عبد الله بن محمد لوالدته رحمة بنت أحمد أن يحملها على جمله المعدّ للسير من حلب إلى مكة ثم عرفات ثم رجوعا إلى مكة بصحبة الركب الشريف المتوجه إلى الحجاز على محارة من الخشب، وأن يقوم بسائر لوازمها من زاد وماء وبأجرة قدرها سبعون قرشا مقبوضة قبضا تاما(١).

إذ كان هناك عدة أنواع من المطايا يتم من خلالها نقل المسافرين (الحجاج) وقد اختلفت أسعارها باختلاف أنواعها، فالتخت كان يستأجره الأغنياء إذ كان يدل على الثروة والمكانة الاجتماعية في أغلب الأحيان، أما المحارة والشقدوفة والمحفة فقد استخدمها متوسطو الدخل نظرا لتوسط أجرها، أما أصحاب الدخل المحدود فقد رغبوا باستئجار الشبرية لرخص أجرتها مقارنة مع الأصناف الأخرى، أما الفقراء فقد استخدموا جمالا تسمى (رهاوين)(٢) يسافرون عليها(٣).

وقد قدم لنا الدكتور عبد الكريم رافق من وثائق المحكمة الشرعية في دمشق وحلب عينتين حول هذا الموضوع: الأولى من حلب في منتصف القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، والثانية من دمشق في منتصف القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي. ففي العينة الأولى تعاقد مسافر هو وأمُّه في ١٦شعبان من عام ١٠٤٥هـ/ ٢٥ كانون الثاني ١٦٣٦م مع مقوِّم على أن يدفعا له لقاء حملهما في محارتين من الخشب (شقدوفتين) من حلب إلى مكة المكرمة ثم عرفات ثم إلى مكة رجوعا بصحبة قافلة الحج الشامي المتوجهة في

(١)الغنيمي، دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق المخطوط، ص ١٠٠.

(٢) رهاوين: يختارها بعض الحجاج ويفضلونها على المحارة لأنها تساعد على النزول في الطريق، العظمة: مرآة الشام ، ص ١١٦.

(٣) الغنيمي، دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق المخطوط ، ١٠١.

ذلك العام للحجاز وتزويدهما بجميع حاجتهما من الزاد والماء واللوازم الضرورية بأجرة قدرها مائة قرش مقبوضة تامة[١].

ويبدو أنه كان هناك تخفيضا لأفراد الأسرة، وربما روعي سن الأولاد والدليل على ذلك أن الأم وابنها في هذا المثال دفعا مائة قرش في حين أن امرأة من أهالي حلب تعاقدت بعد شهر من العقد السابق على أن تدفع للمسافة والخدمات نفسها سبعين قرشا [٢].

أما العينة الثانية من دمشق في منتصف القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي بلغت أجرة نقل المسافر (الحاج) من دمشق إلى مكة في شهر شوال من عام ١١٥٨هـ / تشرين الثاني ١٧٤٥م سبعين قرشا؛ (٤٠ قرش أجرة جمل / ٥ قروش سقاية ماء / ٥ قروش ثمن شقدوفة / ٥ قروش أجرة عكام / ١٥ قرشا أجرة حمولة وزنها ١٥ أوقه) ويبدوا أن الأجرة لم تتضمن الطعام لأنه لم يرد ما يدل على ذلك[٣].

كما تعاقد رجل وأمُّه أن يدفعا أجرة نقلهما من مكة إلى دمشق بكامل خدماتها بمبلغ مئتي قرش (٨٠ قرشا أجرة الجمل للشخص الواحد بدون أجرة الحمولة / ١٥ قرشا نظير أكله / ٥ قروش لقاء سقايته) وعند وصولهما إلى دمشق احتج الراكبان بأن السعر مرتفع فاستدعى القاضي والشهود فشهدوا أن المائة قرش هي سعر المسلمين في تلك السنة فألزمهما القاضي بالدفع[٤].

ويبدو أن دفع أجرة الذهاب والإياب معا كانت أكثر توفيرا لأن المقوم يضمن عودة زبائنه معه نظرا لرغبة بعض الحجاج بالبقاء في الديار المقدسة بقصد المجاورة، وسواء كانت

---

(١) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١٥.

(٢)رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١٥.

(٣)المرجع نفسه، ص١٦.

(٤)المرجع نفسه.

الرحلة للذهاب فقط أم للذهاب والإياب معا فقد دفعت الأجرة للمقوم على أقساط وبقي أحيانا جزء من الأجرة إلى ما بعد العودة[1].

في حين عمد بعض الراغبين بالسفر للأراضي المقدسة إلى استئجار الجمال فقط دون خدماتها الأخرى، وقد بلغت أجرة الجمل من حلب إلى مكة المكرمة ثم إلى عرفات ثم رجوعا إلى مكة المكرمة خلال تلك الفترة (أربعا وأربعين قرشا) للجمل الواحد[2].

---

(١) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص١٦؛كيال، محمل الحج الشامي، ص ٧٣.

(٢) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني ص ١٦.

المبحث الرابع: أعداد الحجاج

ضمت قافلة الحج الشامي حجّاجا من فلسطين ولبنان وتركيا وتركستان والأناضول وغيرها من المناطق[(١)] إلا أن الإخباريين الدمشقيين لم يشيروا إلى عدد الحجاج الذين وصلوا دمشق، وكانوا يكتفون بالقول إنه وصل حج كبير أو كثير [(٢)]. وأشاروا أحيانا إلى عدد الحجاج الأعاجم[(٣)] بسبب البضائع التي كانوا يحملونها وخاصة الأحجار الكريمة [(٤)].

و قدر الشيخ البديري الحلاق عدد حجاج العجم في عام ١١٥٤هـ/١٧٤١م. بثلاثمائة حاج، وقد جاءوا في قافلة الحج الحلبي [(٥)] وفي العام التالي ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م قدرهم بألف وسبعمائة حاج وقد جاءوا أيضا مع الحج الحلبي[(٦)] أما في عام ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م قدر البديري عدد الحجاج العجم بألف وستمائة حاج وقد جاءوا في قافلة خاصة [(٧)].

ولم يذكر المؤرخون المعاصرون عددا محددا لحجاج قافلة الحج الشامي ككل إلا في الحالات التي هوجمت فيها القافلة في طريقها للأراضي المقدسة ولم تكن تلك الأعداد التي أعطوها صحيحة لأنها غير مبنية على أيه وقائع. وكثيرا ما كانت تضخم للإيحاء بشدة الهجوم وكثرة الخسائر. فمثلا عندما هوجمت قافلة الحج في عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م في طريق عودتها إلى الشام في المنطقة ما بين القطرانه ومعان قدر الرحالة فولني الذي زار بلاد الشام في عام

---

(١) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٤٧.

(٢) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ٦.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) بني يونس، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن، ص ٤٣.

(٥) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص١٠ .

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٦١.

١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م أعداد الحجاج في القافلة بـ ٦٠،٠٠٠ حاج، في حين قدرها مصدر معاصر في استانبول بأنها كانت بين ٧٠،٠٠٠ و ١٠٠،٠٠٠ [١].

وذكر فولني أن عدد حجاج القافلة في الظروف العادية يتراوح ما بين ٣٠،٠٠٠ و ٥٠،٠٠٠ ألف . وقد قدر عددها في عام ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م بأنه يتراوح بين ١٥،٠٠٠ و ٢٠،٠٠٠ [٢].

ولعل متوسط عدد حجاج قافلة الحج الشامي كان بحدود ٢٠،٠٠٠ وارتفع أحيانا إلى ٤٠،٠٠٠ أو أكثر في الأوقات التي أعقبت كارثة ما أو حربا ما أو حين تزدهر حركة التجارة مما يزيد في عدد التجار المرافقين لقافلة الحج[٣].

وهكذا قد يختلف عدد الحجاج من فترة إلى أخرى وأحيانا من سنة إلى أخرى مما يزيد من صعوبة تحديد العدد التقريبي بصفه عامة لحجيج قافلة الحج.

(١)رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ٦.

(٢)المرجع نفسه.

(٣)Abdul-Karim Rafeq: The Province of Damascus 1723-1783,Khayats, Beirut,1970,P.61.

الفصل الثالث

ترتيبات تسيير القافلة واستقبالها

المبحث الأول: ترتيبات تسييرها

المبحث الثاني: مراسم الاحتفال بقافلة الحج الشامي:

أولا: موكب الزيت والشموع.

ثانيا:موكب المحمل والسنجق.

ثالثا:موكب القافلة نفسها.

المبحث الثالث: ترتيبات استقبالها:

أولا:عند دخولها مكة.

ثانيا: عند عودتها إلى دمشق.

المبحث الأول: ترتيبات تسييرها

يعدُّ موسم الحج من المواسم والمناسبات التي تميزت بها دمشق عن سائر الحواضر الإسلامية والعربية في إطارٍ من التقاليد لا تزال ماثلة في أذهان الناس، وقد تعاظمت تلك التقاليد خلال الحكم العثماني نتيجة لاستقطاب دمشق لحجاج بلاد الشام إضافة إلى الحجيج الوافدين إليها من بلاد الأناضول وإيران والعراق وأذربيجان والقوقاز والقرم والبلقان وحجاج استانبول للسير في قافلة الحج الشامي التي تنطلق من دمشق كل عام الأمر الذي جعل على دمشق مسؤولية استقبال ذلك العدد الضخم والكبير من الحجاج وإيوائهم وتموينهم ونقلهم بأمان [1].

يبدأ توافد الحجاج إلى دمشق في الأسبوع الأخير من شهر شعبان، و تمتلئ المدينة شيئا فشيئا بالحجيج طوال شهر رمضان[2] وبعضهم يصل إلى دمشق قبل عدة أشهر (أربعة أشهر أو خمسة أشهر)[3] و يجتمع الحجيج في دمشق في شهر رمضان، ويقيمون في الأماكن المعدة لهم كمنطقة المرج قرب التكية السليمانية وخان الحرمين (باب البريد)[4] قرب الجامع

---

(١) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٤٧؛ المكناسي، رحلة المكناسي، ص٢٤٧-٢٤٩.

(٢) الحلاق ، المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

(٣) كيال، محمل الحج الشامي، ص ٤٩.

(٤) باب البريد: من أشهر أحياء دمشق فيه سوق باب البريد وهو من أجمل أسواق دمشق وأحسنها. وفيه تباع المنسوجات المحلية ومنسوجات بلاد الإفرنج الثمينة ولا تخلو من مئات بل من ألوف الناس، وفي وسطها قبه شاهقة قائمة على أعمدة عظيمة عليها كتابات كثيرة بالعربية أوالكوفية ، قساطلي: نعمان، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، (بيروت : دار الرائد العربي، ١٢٩٩هـ/ ١٨٧٩م) ، ص ٩٨.

الأموي[١] أو بالقرب من جامع الورد (سوق ساروجة)[٢] أما الحجاج العجم فعادة ينزلون في حي الخراب أو السويقة [٣].

وكان من الحجاج الوافدين إلى دمشق من ينزل في زوايا تحمل اسمهم مثل زاوية المغاربة[٤]وزاوية الهنود القائمة ظاهر دمشق بمحلة السويقة، والتي تولى أمرها هنود وذكرت زاوية السنود بمحلة الهنود في دمشق بمناسبة تعيين الشيخ محمد بن محمد السندي في وظيفة الإمامة فيها، وربما كانت التسميتان (زاوية الهنود و زاوية السنود) تشيران إلى زاوية واحدة، وزاوية الموصليين بمحلة ميدان الحصى بحي الميدان [٥].

وخلال شهر شعبان تقوم دمشق بتجنيد كامل طاقاتها وإمكانياتها وفعالياتها لخدمة الحجاج الوافدين إليها والعمل على استكمال ما يلزم لانطلاق قافلتي الحج والمحمل الشامي[٦] حيث يقوم أمير الحج قبل حلول موسم الحج بثلاثة أشهر بجولة تفتيشية تسمى" الدورة" يتولى خلالها مع جنده تفتيش عدد من الجهات كنابلس وعجلون، ويستهدف بها أمرين: [٧].

---

(١) الغنيمي، دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق المخطوط ، ص ٩٩.

(٢) سوق ساروجة : تعمل به أدوات الخيل. قساطلي ، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، ص ٩٩.

(٣) كيال، محمل الحج الشامي، ص ٤٩ .

(٤) زاوية المغاربة : بنيت في عام ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩-١٤٠٠م وهي شمال جامع الجراح في باب صغير وعرفت أيضا بزاوية الوطيه نسبة إلى علي الشهير بابن وطيه الذي أنشأها. ابن طولون، أعلام الورى، ص ١٢١؛ عزة، خدمات الحج في الحجاز خلال العصر العثماني، ص ١٧٣ .

(٥) كيال، محمل الحج الشامي، ص ٤٩ ؛ رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ٢١.

(٦) خليل: محمد قاسم، دمشق (شام شريف) ملتقى حجاج المشرق والمغرب، صحيفة الثورة يومية سياسية ،٩/١١/١٤٣٠هـ / ٢٧/١١/٢٠٠٩م.

(٧) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص٥٠ ؛ نوفل : نوفل نعمة الله ، كشف اللثام عن محيا الحكومة والأحكام في إقليمي مصر وبر الشام، (لبنان : جروس بُرس ،١٤١٠هـ/ ١٩٩٠) ، ص ٢٩٧؛ العورة: إبراهيم ، تاريخ ولاية سليمان العادل ، تعليق: الأب المخلصي قسطنطين الباشا، (صيدا : مطبعة دير المخلص ،١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦) ، ص ٢٠٦.

- أولاً: جمع مال الدولة من سكان المناطق الجنوبية من ولايته، وهي المناطق التي يحكم فيها أصحاب العصبيات من شيوخ البلاد وزعماء العشائر وذلك ليستعين بهذه الأموال في إعداد قافلة الحج والمحمل.

- ثانياً : إظهار سطوة الدولة في هذه الجهات التي ستمر بالقرب منها قافلة الحج والمحمل في طريقهما إلى بيت الله الحرام (١).

وقد جرت العادة أن يخرج أمير الحج للدورة في أواخر شهر رجب أو أوائل شهر شعبان ثم يعود إلى دمشق في أوائل شهر شوال وقد يتقدم خروجه للدورة عن هذا الموعد فيخرج في أواخر جمادى الثانية أو أوائل رجب أو قد يتأخر في الخروج إلى أوائل رمضان . وهنا لا يستطيع (أمير الحج) أن يمكث في الدورة إلا نحو شهر تقريبا، وعليه العودة سريعا إلى دمشق، لأن العادة جرت أن تخرج قافلة الحج في منتصف شهر شوال(٢).

وفي الأسبوع الثالث من شهر شعبان يصل موكب أمين الصرة أو (الصرة أميني) كما كان يلقب، وأحيانا كان يتأخر حتى أوائل رمضان ومعه المال الذي كانت ترسله الدولة العثمانية لفقراء الحرمين الشريفين ولمستحقيه من قبائل البدو المنتشرة على طريق الحج الشامي وكان أمين الصرة يغادر العاصمة استانبول في أغلب الأحيان في الأسبوع الأخير من شهر رجب (٣) متوجها إلى دمشق وسط احتفالات شعبية ورسمية يشترك فيها كبار رجالات الدولة

---

(١) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص٥٠ .

(٢) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٥٠ ؛ دفتر مفصل لواء عجلون: طابو دفتر رقم ٩٧٠، دراسة وتحقيق وترجمه : محمد عدنان البخيت ونوفان رجاء الحمود (عمان : منشورات الجامعة الاردنية ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ، ص ٥٢ .

(٣) الغنيمي، دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق المخطوط ، ص ٩٩ .

والأهالي وباهتمام بالغ من القصر السلطاني والناس على حد سواء [١] ويرافقه إضافة إلى حاشيته عدد من الحجاج للاستفادة من الحماية المؤمنة لها [٢].

ومن أجل حماية الصرة وضمان وصولها إلى دمشق كانت الدولة العثمانية ترسل الأوامر إلى الولاة والقضاة والمتصرفين[٣] وقادة الإنكشارية وغيرهم من ذوي العلاقة في الولايات التي يمر بها موكب قافلة الصرة إلى الشام وتطلب منهم توفير الأمن والأمان والسلامة لقافلة الصرة والحجاج الذاهبين معها [٤].

وعند وصول قافلة الصرة إلى دمشق تقام الاحتفالات وتزين الشوارع بالقناديل والشموع ويكون في استقبالها كبار الضباط وجمع من الجند العثماني[٥].

ومع حلول عيد الفطر تكون الترتيبات اللازمة لانطلاق قافلة الحج الشامي قد اكتملت [٦] ويسبق ذلك احتفالات شعبية ورسمية تعيشها مدينة دمشق بداية من ثاني أيام عيد الفطر المبارك .

---

(١)وثيقة عثمانية: دفتر تقسيمات الصرة الحلبية على أهالي مكة، رقم ١١٥١، TS.Mad بتاريخ ١٠٠٢/٨/١هـ /١٥٩٤/٤/٢٢م ؛ الحزماوي ، الصرة السلطانية لعلماء القدس الشريف ، ص ٧٦.

(٢) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١٢-١٣ .

(٣) المتصرف :كان الهيكل الإداري في الدولة العثمانية قبل عهد التنظيمات على النحو التالي السناجق تشكل الولايات والأقضيه تشكل السناجق والبلدات تشكل الأقضية وكانت الولايات تحت إدارة أمير الأمراء، والسناجق تحت أمير السناجق حيث كانوا أمراء إداريين وفي الوقت ذاته قوادا عسكريين ومنذ عهد التنظيمات فصلت القيادة العسكرية والإمارة الإدارية عن بعضهما بعضا فأصبحت كل واحدة منهما مستقلة فألغي منصب أمير السنجق ووضع مكانة موظف سمي بالمتصرف . صابان : سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، (الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) ، ص ٢٠٠.

(٤) جارشلي، أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، ص ٥٧.

(٥) الحزماوي ، الصرة السلطانية لعلماء القدس الشريف ، ص ٧٦.

(٦) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص٥١ .

المبحث الثاني: مراسم الاحتفال بقافلة الحج الشامي

كانت الاحتفالات المرتبطة بالحج في الدولة العثمانية والتي تعد معظمها احتفالات عامة تجري في شوارع استانبول ودمشق يوم مغادرة قافلة الحج وعودتها، فكانت هذه المظاهر أحد أزهى الأحداث[١]. حيث تعتبر مراسم الاحتفال بقافلة الحج الشامي من أطول المراسم الدينية والمدنية وأكثرها روعة كما أن عدد المشاركين فيها يزيد على ما عداهم من المشاركين في الاحتفالات الأخرى التي كانت تقام في دمشق لسبب أو لآخر[٢] وقد شملت تلك المراسم موكب الزيت والشموع وموكب المحمل والصنجق وموكب القافلة نفسها.

أولا: موكب الزيت والشموع

أول احتفالات الحج ويقام عادة في السابع من شهر شوال من كل عام بعد أن يتكامل تجمع قافلة الحج استعدادا للانطلاق إلى الأراضي المقدسة [٣] وهو خاص بموكب الزيت والشموع التي سترسل إلى الحرم النبوي الشريف مع القافلة فكان يؤتى بالزيت من قرية كفر سوسه (الواقعة غربي دمشق) ضمن ظروف مزخرفة موضوعة في داخل صناديق خشبية محمولة على ظهور الجمال المزينة والمزركشة بالأجراس والخرز والشباشيل[٤]، ويسير في مقدمتها بيرق أخضر بشراشيب حمراء مكتوب عليها بعض العبارات الدينية، [٥] ويتقدم الجمال جوقة موسيقية مكونة من أربعين شخصا: عشرة رجال ينفخون في آلات موسيقية وتسعة آخرون ينفخون في آلات موسيقية تشبه الناي، واثنان منهم يضربان على طبليهما، وآخرون يضربون بالصنوج

---

(١) ثريا، حجاج وسلاطين الحج أيام العثمانيين . ص ٦٧.

(٢) نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ، ج٢، ص ٦٦٥- ٦٦٦.

(٣) الغنيمي، دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق المخطوط ، ص ٩٥.

(٤) الصيادي ، الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية ، ص ٣٠-٣١؛ كيال ، محمل الحج الشامي ، ص ١٠٨.

(٥) العبارات الدينية: قد تكون مثلا "الله أكبر" أو "لا إله إلا الله" أو ما شابهها .

النحاسية والآلات النفخية، [١] ويشارك في هذا الموكب عدد من أهالي كفر سوسه بالألعاب والترويد، فمنهم من يلعب بالسيف والترس، ومنهم من يلعب بالعصا والترس الجلدية المعروفة باسم (لعبة الحكم) في مهرجان شعبي ينظم إليه كل من كان أو صادف وجوده في طريق هذا الموكب [٢].

وينطلق هذا الموكب من قرية كفر سوسه حتى يصل إلى باب السريجه من جهة الغرب بالقرب من ضريح الصحابي زيد بن ثابت رضي الله عنه، ثم يتجه الموكب إلى سوق حي باب السريجه يتقدمه سنجق أخضر بشراشيب حمراء داكنة مكتوب عليه بعض العبارات الدينية وخلفه الطبول [٣] ثم يتابع الموكب سيرة باتجاه باب الجابية، [٤] ثم إلى سوق الدرويشية[٥] إلى اتجاه دار المشيرية (مكان القصر العدلي الحالي) حتى يأتوا بها إلى مركز

---

(١) نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ، ج٢، ص ٦٦٦.

(٢) الصيادي، الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية، ص ٣١.

(٣) كيال، محمل الحج الشامي، ص ١٠٨.

(٤) باب الجابيه : أحد الأبواب الرومانية القديمة بدمشق وهو بابها الغربي، أما تسمية الباب فينسبه المؤرخون العرب إلى قرية الجابية لان الخارج من دمشق إليها يخرج من هذا الباب لكونه مما يليها . وسبب نسبة الباب إلى هذه البلدة البعيدة كما يبدو أنها كانت في زمن الأمويين واحده من أهم قرى حوران ، واسم (باب الجابية) يشمل اليوم المحلة والساحة المقابلة للباب من جهة الغرب وأما الباب نفسه ففي الداخل مستتراً بين الأسواق ، الأبيش: أحمد، والشهابي: قتيبة، معالم دمشق التاريخية ، دراسة تاريخية ولغوية عن أحيائها ومواقعها القديمة وتراثها وأصولها واشتقاق أسمائها، (دمشق : وزارة الثقافة ،١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ، ص ٤٠ – ٤١ .

(٥) سوق الدرويشية : من أهم أسواق الشام يمتد من رأس سوق الأروام إلى باب الجابية جنوبا. قساطلي، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، ص ٩٩.

الكلار[١] في منطقة السنجقدار المخصوص بعوائد الحج[٢] إذ يوضع الزيت إلى جانب أدوات الحج الأخرى [٣].

أما الشموع التي سترسل إلى الحرمين الشريفين فيتم تصنيعها في دار أحد وجهاء أو أعيان دمشق بقصد التبرك ولخدمة الحرمين الشريفين، وكانت تصنع بأطوال وأحجام مختلفة عن بعضها البعض[٤] .

وعند الانتهاء من صناعتها يؤتى بها في موكب خاص محمولةً على أيدي مجموعة من الرجال، إما محضونةً من قبلهم أو موضوعةً بشباكٍ خاصَّةٍ ويحمل كل شبكة رجلان، وتلف تلك الشموع قبل حملها بشال من الكشمير الفاخر، وترافق موكبها الموسيقى السلطانية، ويسير خلفها مؤذنو الجامع الأموي وجمع غفير من الأشراف والذوات والعامة [٥] ووراءه سبعة رجال يحملون المباخر المصنوعة من الفضة عن يمينه وعن شماله، إذ يستمر الموكب في المسير إلى أن يصل لمركز الكلار[٦] وتوضع تلك الشموع بجانب الزيوت في أكياس خاصة بها [٧] وكان هذا الموكب يسبق ما عداه من المواكب كالقافلة والمحمل من حيث الإعداد والتجهيز في دمشق [٨].

---

(١) الكلار: المخزن أو المستودع الخاص بأدوات محمل الحج ولوازمه ، زكريا : أحمد وصفي ، الريف السوري .محافظة دمشق ، ج٢، (دمشق : المطبعة العمومية ، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م) ، ص ١٦٧.

(٢) عوائد الحج: كل ما يختص بالحج من الأغراض .

(٣) الصيادي، الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية، ص ٣١ ؛ زكريا، الريف السوري،ج٢، ص ١٦٧.

(٤) نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، ج٢، ص ٦٦٦؛ كيال ، محمل الحج الشامي ، ص١٠٩ .

(٥) نعيسة، المرجع نفسه .

(٦) الصيادي، الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية، ص ٣١.

(٧) الغنيمي، دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق المخطوط، ص٩٦.

(٨) بني يونس، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن، ص ٥٤.

ثانيا:موكب المحمل والسنجق

يبدأ الاحتفال بهما في دمشق في الثامن من شهر شوال بعد الانتهاء من مراسم موكب الزيت والشموع، وطريقة الاحتفال بهما تتم بوضع المحمل على جمل مخصص له ويرفع السنجق [(١)] على سارية خاصة بها[(٢)]. بعد أن يتم إخراجهما من الكلار حيث يتقدم السنجق جمل المحمل الشريف ويكونان مزينين بالزينة المصنوعة من خيوط الذهب الخالص[(٣)] ويرفع السنجق على أيدي حامليه وعلى جانبه الأيمن مجموعة من الجنود يحملون الأعلام وعددها عشرة أعلام أحدها أبيض واثنان أخضران، أما الأعلام الأخرى فتكون بلون أحمر وتختلف أحجامها عن بعضها البعض فالأربعة الأولى منها بأحجام صغيرة ومثبته على البنادق أما الستة الأخرى متدرجة في أحجامها وتسير خلف بعضها البعض الأصغر في المقدمة ثم يليه الكبير ثم الأكبر وهكذا [(٤)] فيخرجون من القلعة بعد صلاة الظهر من باب القلعة الشرقي المعروف (بباب البوابجية)[(٥)] وبمقدمتهم الموسيقى السلطانية وجميع المؤذنين من عموم سناجق الولايات العسكرية

---

(١) السنجق: هو العلم المنسوب إلى راية النبي محمد صلى الله عليه وسلم التي كانت تسمى (العقاب) وكانوا يحتفظون به في دمشق ويرفعونه أمام قافلة الحج وينشرونه إذا دعا داعي الجهاد ، وقد انتقل السنجق إلى الأمويين ومنهم إلى العباسيين في بغداد . ثم انتقل إلى القاهرة على يد الفاطميين وأعيد إلى دمشق على يد السلطان سليم الأول بعد القضاء على دولة المماليك. ونقل إلى استانبول بواسطة الصدر الأعظم سنان باشا ووضع تحت حماية كزلار آغاسي (آغا البنات) في غرفة خاصة من الباب العالي أطلق عليها اسم " خرقة شريف أوده سي " ولم يسمح إلا لقلة من المسلمين بلمسة نظرا لقدسيته نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ، ج٢، ص٦٧٧ ؛ دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ص ١٨؛ كيال، محمل الحج الشامي، ص ١١٠.

(٢) نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، ج٢ ، ص ٦٦٧.

(٣) المرجع نفسه.

(٤)المرجع نفسه.

(٥) باب البوابجية : هو باب الفرج جدد في أيام سيف الدين أبي بكر بن أيوب سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م وهذا الباب مشهور جدا وكانوا يتفاءلون به بالخير. قساطلي، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، ص ١١٢.

الموجودة بدمشق [١] حـــــــــاملين بأيديهم المباخر إضافة إلى نقيب السادة الأشراف[٢] بملابسه الخضراء ثم أمين الصرة السلطانية ومحافظ ركب الحج الشريف وأصحاب المراتب السلطانية من علمية وعسكرية وملكيـــــة بملابسهم الرسمية [٣]وخلف المحمل والسنجق يأتي الجربجية (وجهاء الإنكشارية) [٤] بأزيائهم القشيبة (الجديـــــدة) وبأسلحتهم المذهبة ومن بعدهم يأتي السكبانية والأرناؤوطية (الجنود الخاصـــة)[٥] ثم الينكجريـــــة[٦] والسباهيه والزعماء وعسكر القلعة وأعوانهم وأكابر الدولة وقاضي المحمل بعمامته وباش الدفتر دار[٧] وآغا القابي قول [٨] وكاتب الينكجـــــرية ثم بعد ذلك تأتي التخـــوت[٩] المزينـــــــــة

(١) مثل غزه عجلون و نابلس والقدس. الصيادي، الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية، ص ٣١ ؛ بني يونس، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن، ص٤٤ .

(٢) نقيب السادة الأشراف: هو الشخص المعين من قبل الدولة والمتفق على منصبة في الإشراف على الأمور المتعلقة بالسادة والأشراف المنتسبين للسلالة النبوية الشريفة من ذرية سيدنا الحسن والحسين وكان يقيم في العاصمة إستانبول وله وكيل يسمى قائم مقام ومن مهامه الحفاظ على السجلات الخاصة بأنسابهم وحقوقهم والامتيازات الممنوحة للسادة من لدن الدولة . هريدي: محمد عبد الطيف، شئون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية، (القاهره : دار الزهراء ، د.ت) ، ص٥٨ .

(٣) العظمة، مرآة الشام ، ص ١١٥.

(٤) كيال: منير ، ياشام في التراث الشعبي الدمشقي ، (دمشق ، وزارة الثقافة ،١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ، ص ٢٧٠.

(٥) نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، ج٢ ، ص ٦٦٨.

(٦) الينكجرية : وتعني بالتركية الجيش الجديد وتتألف من (ييي) بمعنى جديد أو محدث و(تشري) بمعني جيش أو جنود وكان هؤلاء الجند يشكلون في الأصل عنصر المشاة وحدهم وكانوا متمركزين في العاصمة ثم عم اللفظ على الجيش. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ١٥٨.

(٧) الدفتر دار: معناها ممسك الدفتر وهو المشرف على الأمور المالية في كل ولاية ثم أطلق لقب دفتر دار على وزير المالية المركزي بالقسطنطنية. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ٧٦.

(٨) القابي قول: لفظ تركي مركب من (قابي) بمعنى الباب و(قولي) بمعنى عبيد أي عبيد الباب، وتطلق على الحرس السلطاني وعلى الإنكشارية لأنهم أهم أصناف الحرس. دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ١٢١.

(٩) التخوت: جمع تختروان وهي كلمة أعجمية، وهو عبارة عن صندوق يوضع فوق حصانين يجلس بداخله شخصان، الخياري، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، ص ٨٧.

بالأطاليس [١] ومعهم عامة الحج الشريف وأمير الحج . ثم يبدأ الموكب بالمسير وعند ذلك تطلق المدفعية نيرانها ابتهاجا بتلك المناسبة ويقوم المؤذنون والمصلون بترديد العبارات الدينية ثلاث مرات [٢].

فيتحرك الموكب برئاسة أمير الحج فيخرج من طريق السنانية فمرقص السودان إلى طريق الشاغور إلى باب كيسان فباب شرقي فسيدنا بلال ثم على برج الروس فالعمارة ثم الآبارين ويمرون على السروجية ثم ينعطف الموكب بعد ذلك إلى السرايا وأمام بابها الظاهري[٣](الكبير) تقدم الضيافات من سائر الأصناف ويوضع السنجق في السرايا وينفض الموكب [٤] وكانت الشوارع والأسطحة تغض بالمتفرجين من أهل دمشق والوافدين إلى بلاد الشام، وكانت النساء يشاهدن هذا الموكب عن طريق شبابيك بيوتهن المطلة على هذا الشارع أو في الشوارع نفسها المطلة على هذا الموكب [٥].

ثالثا: موكب قافلة الحج

كان خروجه ما بين الخامس عشر والسادس عشر من شهر شوال في كل عام [٦] حيث ينطلق موكب القافلة في الساعة التاسعة والنصف صباحا[٧] ويبدأ الموكب أولا بخروج الصناديق المقفلة بإحكام والمربوطة بقماش الخام والمختومة بخاتم الوالي الخاص، وتعقبها أربعة طبول وخلفها ثلاثون فارسا مكلفون بحراسة هذه الصناديق التي بها (عفش أمير الحج والقافلة)،

---

(١) الأطاليس: ثياب منسوجة من الحرير يلبسها المشايخ والعلماء، بني يونس، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن، ص ٥٤.

(٢) نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، ج٢ ، ص ٦٦٨.

(٣) الظاهري: نسبه إلى الظاهر بيبرس. الدمشقي، أعلام الورى ، ص ٣٢٩.

(٤) الدمشقي، المصدر نفسه، ص ٣٢٨ ؛ نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، ج٢ ، ص ٦٦٨.

(٥) زكريا، الريف السوري، ج٢، ص ١٦٧؛ نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، ج٢ ، ص ٦٦٨.

(٦) حلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٥١.

(٧) نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ، ج٢ ، ص ٦٦٩.

وتأتي بعدهم هدايا الحكومة العثمانية المرسلة للمدينتين المقدستين،[1] حيث خصص في عهد السلطان سليم الأول ست ذهبات لكل شيخ من شيوخ عشائر الحجاز، ولكل بدوي ذهبة، ولكل شريف من الأشراف خمسمائة ذهبة، وخصص خمسة آلاف ذهبة لفقراء مكة المكرمة، وألفي ذهبة لفقراء المدينة المنورة وقمحا وأرزا تقدر قيمته بمائتي ألف ذهبة توزع على الفقراء والبدو، وهذه الهدايا محروسة بجنود غير نظامين يؤلفون أربع كتائب كل كتيبة منهم مكونه من ١١٣ رجل ويرأسها قائد[2] ولهذه الكتائب قائد عام برتبة (بمباشي)[3] وتعقبها جمال تحمل عفش أمير الحج مزينة بشكل جميل وعليها أوسمة بشكل مرايا تتدلى منها بخيوط معدنية للزينة ثم تعقب العفش محفات السفر[4] وفي آخرها جملان تتدلى عن جانبي كلٍّ منهما (محارتان) على شكل أسرة الأطفال الهزازة أو على شكل سلال كبيرة تستخدم للسفر والنوم مغطاة بمظلات صغيرة كل واحدة منها على شكل النجمة لونها أزرق وضعت للوقاية من لفح أشعة الشمس ويرتفع فوقها علم مثلث الشكل مثبت على رأس رمح[5].

وكانت تسير بين الجمال خيالة (فرسان) من الرجال وبعض النساء اللواتي كن يرتدين الإزار[6] ويعلو وجه الواحدة منهن نقاب (حجاب) وهن على صهوات الجياد [7].

---

(١) النمر: إحسان، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج١ ، (دمشق : مطبعة ابن زيدون ، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م) ، ص ٦٤.

(٢) نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ، ج٢، ص ٦٧٠.

(٣) بمباشي: رتبة عسكرية عثمانية استعملت في الجيوش العثمانية ثم استبدلت بها رتبة مقدم، دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ٤١.

(٤) محفات السفر: هي الأدوات التي توضع عليها عدة السفر. المرجع نفسه ، ص ١٣٦.

(٥) نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ،ج٢، ص ٦٧٠.

(٦) الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٤ ، (مصر : مكتبة الشروق الدولية ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م) ، ص١٦.

(٧)نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ،ج٢، ص ٦٧٠.

ويمر بعد ذلك أفراد الفرقة الموسيقيه يملؤهم الاعتزاز وهم يعزفون على آلاتهم المختلفة المكونة من النايات والأبواق والصنوج النحاسية تتدلى منها أجراس صغيرة تصدح بالحان حزينة فتثير في نفس السامع الحزن أكثر مما تثيره من حماس(١) ثم تعقب هذه الفرقة فرقة الطبول الصغيرة لتأتي عربة الوالي ويأتي خلفها الموكب الرئيس للقافلة، وعلى رأسه صفان من الضابطية يقودهم أحد البكوات أو قائم مقام(٢) ثم تأتي من بعدهم مجموعة من الفرسان يبلغ عددهم مائتي رجل بأزيائهم الحمراء القرمزية ويتكون زي الرجل منهم من سترة صغيرة وبنطال واسع ويتسلحون بالبنادق الصغيرة(٣) وبعد ذلك تمر المدفعية ممثلة بمدفعين من النحاس على عربتين خضراوين وسدنتهما يسيرون على الأقدام حيث يكون في انتظارهم بقية سرية المدفعية المرافقة لقافلة الحج خارج بوابة الله (٤) ويلي المدفعين تختروان فارغ خاص بأمير الحج مزين بالذهب وفرشت أرضيته بالفرش المناسب وفوق الفرش السجاد وزود بقنديل للإضاءة ليلا ويحمل التختروان بغلان أحدهما في مقدمته والآخر من خلف الأول مسرجان بسرجين أحمرين مزركشين بقماش أحمر مطرز بجدائل وضفائر صفراء (٥).

ويأتي خلف التختروان أيضا العلماء على صهوات جيادهم بأزيائهم الخاصة المميزة بستراتهم العريضة الموشاة بالذهب ويتبين من ذلك المكانة للعلماء والخطباء والمدرسين والشيوخ

---

(١)نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ،ج٢، ص ٦٧٠-٦٧١.

(٢) قائم مقام: هو الشخص الذي يقوم مقام الغير في منصبة مثل قائم مقام الصدارة وقائم مقام إستانبول وهو أعلى منصب إداري في الأقضية، صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص ١٧٠.

(٣)نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ،ج٢، ص ٦٧١.

(٤) بوابه الله : أو باب الله يقع جنوب الميدان الفوقاني ولقد أطلقت عليه هذه التسمية لأنه يؤدي إلى بيت الله الحرام وكان يطلق عليه في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر " باب الموت" حيث أن ثلث الخارجين منه إلى الديار المقدسة نادرا ما يرجعون ، وكون هذا الباب مدخل مدينة دمشق من ناحية الجنوب، العبد، حوادث بلاد الشام والإمبراطورية العثمانية، ص ١٥.

(٥) نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ، ج٢ ، ص ٦٧١.

وأئمة الصلاة في موكب الحج[1] الذين يظهرون بطرابيشهم الحمراء تطوقها لفات شاش مختلفة أما معاطفهم فكانت قرنفلية اللون مطرزة وموشاة بأشكال جميلة للغاية ويأتي في مقدمتهم (قاضي القضاة) بعمامته البيضاء المزينة بشريط ذهبي وخلفه نائبه ثم نوابه الآخرون بأزيائهم الرسمية [2] ويأتي بعدهم رجال الدين مع طلابهم الذين يرتدون عمائم مختلفة في أحجامها واتساعها وألوانها للدلالة على وظائفهم [3].

ويلي هذا الموكب المحمل الشريف ثم السنجق فأمير الحج ويعقبه رتلان من حرسه الخاص والمكون بدوره من عدد من الرجال الأشداء ومن ورائهم جنود يقرعون على طبولهم[4] ويأتي بعدهم ما يقارب من مائة رجل من البدو الشجعان القادمين من جوار بغداد وحماة والسخنة[5] وغيرها من أماكن البادية يركبون الهجن(الجمال السريعة) ويتمايلون على ظهورها وينشدون الأشعار ويضربون بالدفوف ويلعبون بالرماح ويتبارزون على ظهور الجياد وتسير خلفهم جمال تحمل صناديق تحوي حقائب الحجاج وبضائعهم[6] ، ومن هنا يمكن أن نلاحظ مدى الاهتمام الذي أولته الدولة العثمانية لقافلة الحج الشامي لما لها من أهمية دينية وسياسية بالنسبة لها.

وكان أبناء دمشق يتزاحمون على أبواب المدينة للولوج إلى داخلها في هذه المناسبة وهم في أبهى حللهم القشيبة وألوان أزيائهم الزاهية والنساء يقفن أمام المخازن والأطفال على أسطحة المنازل والمحلات فكان لا يرى بوصة واحدة مربعة إلا مشغولة بالنساء والأطفال [7].

---

(١) بني يونس، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن، ص ٥٧.

(٢) وهؤلاء القضاة ورؤساؤهم والمفتون وهيئات موظفيهم لعبوا دورا هاما في التوفيق بين قوانين الشريعة وبين ما كانت تمارسه الإدارة الحكومية العثمانية بالفعل، لويس، استنبول حضارة الخلافة الإسلامية، ص ١٨٠.

(٣)نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ، ج٢ ، ص ٦٧١.

(٤)المرجع نفسه.

(٥) السخنة : بلدة في بريّة الشام بين تدمر وعرض وأرك ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص ١٩٦.

(٦)نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ، ج٢، ص ٦٧١- ٦٧٢ ؛ بني يونس، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن، ص ٥٨.

(٧)نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ، ج٢، ص ٦٧٢-٦٧٣.

وكانت هذه المناسبة ممتعه للجميع فكان يرى في هذا الزحام الفرس والتركمان عليهم عمائمهم وعباءاتهم الخاصة الفضفاضة المصنوعة من جلد الخواريف، أما الهنود والأفغان فيرتدون ستراتهم السوداء وعماماتهم الكبيرة البيضاء، والمغاربة ببرنسهم[1] الوطني أبيض اللون وبأعداد كبيرة، والسمرقنديون والبخاريون الذين يمتازون بوجوههم المنبسطة وأنوفهم الفطساء وعيونهم الضيقة ونظراتهم الخالية من التعبير والشعر الباهت أو الأصفر والقفقاسيين مسترسلي اللحى ويعتمرون بعمامات ضخمة لا لون لها أو بقلنسوات فرائية خشنة مطوقة بشاش مدرب ، أما الجنود الأتراك فيرتدون زيا مزركشا على شكل جنود الجزائريين والحجاج الفرس باللباد[2] وبلحى أرجوانية أو مخضبه بالحناء ويتلفعون بسترات صوفية طويلة من الشال أو ماشابه ذلك أو بثياب فضفاضة وبها نقاط خضراء محبوكة بشكل جيد[3].

وقد استغل هذه المناسبة بعض الكسبة لبيع الحلوى وحبوب البقول المسلوقة والمخللات كاللفت والشوندر(نوع من أنواع النباتات) أو الخبز المجفف وغيرها، وينادون على سلعهم بكلمات وأصوات مختلفة مع قرع بعض الصحون المعدنية اللماعة على بعضها كبائعي السوس حيث يحمل الواحد منهم وعاء السوس على ظهره ويفتح صنبوره بيده اليمنى عند الحاجة ليملأ الكأس ويقدمها لزبونه، وهناك بائعو الكعك والفواكه والمأكولات المختلفة ولكل واحد منهم نداؤه الخاص الذي يختلف عن صاحبه لاستدعاء انتباه الجمهور إلى بضاعته[4].

(١) برنسهم : جمع برنس وهو كل ثوب رأسه منه ملتزق به . المعجم الوسيط ، ص ٥٢.

(٢) اللباد: جمع لبد وهو كل شعر أو صوف متلبد. والمقصود به هنا غطاء من أغطية الرأس يتخذ من الصوف المتلبد، المعجم الوسيط، ص ٨١٢.

(٣)نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ، ج٢ ، ص ٦٧٣.

(٤) المرجع نفسه .

المبحث الثالث: ترتيبات استقبالها

أولا: عند دخولها مكة

تصل قافلة الحج الشامي إلى مكة المكرمة في الأسبوع الأول من شهر ذي الحجة [١]. حيث تبدأ مراسم استقبال قافلة الحج الشامي من (عسفان) حيث يرسل شريف مكة [٢] مندوبا عنه لاستقبال القافلة[٣]. ثم يخرج شريف مكة ومعه أمير الحج المصري لملاقاة أمير الحج الشامي في موكب مع أمرائه وعساكره ونائب جدة والقضاة والعلماء والأعيان وجمع غفير من العرب مشاة وركبانا على الخيل والهجن في ترتيب عظيم [٤] إذ كان على الشريف مظلة تظلله يمسكها أحد أمرائه مكللة بالجواهر وتضرب له المدافع عند مجيئه وعند انصرافه[٥] ثم يقومون بقراءة المراسيم السلطانية في الحرم الشريف بوجود شريف مكة وأبنائه وخواصه ونائب جدة والقضاة والفقهاء والعلماء والأعيان والتجار وجمع كثير من عامة الناس وكانت تحمل في

---

(١) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٥٢.

(٢) شريف مكة: هو صاحب الرئاسة في مكة المكرمة وهو من نسل الرسول صلى الله عليه وسلم من سلالة علي بن أبي طالب ومن ابنه الحسين وقد شكلوا فئة اجتماعية متميزة لعبت دورا اقتصاديا واجتماعيا هاما في العديد من المدن كمكة وحلب ودمشق ، وحصلوا على مكاسب عديدة فاستثنوا من الخدمة العسكرية وخصصت لهم بعض الإقطاعات ونالوا منحا من السلطان وأعفوا من الخضوع لسلطة المحاكم العثمانية، نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ، ج٢ ، ص ٤٤٩– ٤٥٣ .

(٣) علي: عرفه عبده ، قافلة الحج الشامي في ذاكرة التاريخ ، مجلة الحج والعمرة ، شهرية ، (العدد ٣، السنة ٦٤، ربيع الأول ١٤٣٠هـ/ مارس ٢٠٠٩م)، ص ٤٧.

(٤)وثيقة عثمانية، بخصوص الرسالة التي ترسل كل عام إلى أمير مكة مع أمين الصرة. رقم ١٠٢٠٥، C.DAH، بتاريخ ١١٧٢/٦/١هـ./ ١/٣٠ / ١٧٥٩م.؛ الرشيدي، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، ص ٤٦ ؛ الزهراني: عائض محمد عائض، التاريخ السياسي والحضاري لمكة المكرمة من خلال كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى لمؤلفه جار الله محمد بن فهد (٨٩١–٩٥٤هـ/ ١٤٨٦–١٥٤٧م)، دراسة نقدية مقارنه ، م١ ، رسالة ماجستير – غير منشورة – (مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ، ص ٤٨٧.

(٥) الرشيدي، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، ص ٤٦.

مضمونها الوصية بأمير الحج والحجاج والتهنئة للشريف بموسم الحج[1] ثم يقدم له مرسوم تجديد تعيينه وتقدم له الخلع والهدايا تأكيدا على رضا السلطان، وكذلك للقضاة وشيوخ وسدنة الحرم الشريف،[2] وكان كثيرا ما ينتاب شريف مكة وأعيانها بعض القلق من وجود القوة السلطانية لذا كان الشريف يبتعد بعسكره وقواته قدر المستطاع عنهم ليتجنب الاحتكاك بهم[3].

وعقب انتهاء مراسم الاستقبال الرسمي، تدخل قافلة الحج الشامي إلى مكة المكرمة بين احتفالات شعبية ثم تقرأ المراسيم الخاصة بالشؤون الإدارية في الحجاز[4] وكان المحمل الشامي يوضع على الجانب الأيسر لباب السلام[5] بينما يوضع المحمل المصري على الجانب الأيمن [6].

وبعد الانتهاء من مناسك الحج يحتفل أمراء الحج الشامي والمصري بذلك فيصف عبد الغني النابلسي مظاهر الاحتفال بقوله: " ثم جلسنا نتأمل بوادر السرور بما يصنع في هاتيك الليالي فرحا بإتمام طاعة رب العالمين من إيقاد المشاعل الكثيرة والقناديل المختلفة...، ورمي البارود في الأرواق يعلو يهبط كالنجوم...، ثم إذا فرغوا من ذلك الرمي بالبارود ضربوا الطبول ونفخوا في الزمور والصنجات، ثم بعد ذلك يضربوا المدافع الهائله.." [7].

---

(١)الرشيدي، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، ص ٤٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الزهراني، التاريخ السياسي والحضاري لمكة المكرمة، ص ٤٨٨-٤٨٩.

(٤) علي، قافلة الحج الشامي في ذاكرة التاريخ ، ص ٤٧.

(٥) باب السلام : أحد الأبواب الشمالية للمسجد الحرام عرف في العصر العباسي باسم باب بني شيبة إلا انه منذ القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي أصبح يعرف بباب السلام أو بباب السلام البراني . واستمر هذا الباب يحمل اسم باب السلام منذ ذلك الحين حتى وقتنا الحالي. عمارة : طه عبد القادر، تاريخ عمارة وأسماء أبواب المسجد الحرام حتى نهاية العصر العثماني، (مكة : جامعه أم القرى ، مركز أبحاث الحج) ، ص ٧٦.

(٦) علي، قافلة الحج الشامي في ذاكرة التاريخ، ص ٤٧.

(٧)المكناسي، رحلة المكناسي، ص٢٨٣.

ثانيا : عند عودتها إلى دمشق :

كان استقبال قافلة الحج الشامي مرهونا بالظروف الأمنية والسياسية والاقتصادية العامة والمحلية التي أحاطت ببلاد الشام والحجاز مما كان له الانعكاس المباشر وغير المباشر على عدد المشاركين من الحجاج في هذه القافلة كعزل الولاة، مثل عزل أسعد باشا العظم وتعيين حسين باشا مكي بديلا عنه، ومن ثم عزل حسين باشا مكي عن ولاية الشام وتعيين عبد الله باشا الجته جي [1] أو تعرض دمشق لهجوم خارجي، أو تعرض القافلة لاعتداء من قبل القبائل البدوية، ففي عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م قام البدو بمهاجمته القافلة ، فيقول البديري" إنه جاءت الأنباء في السابع عشر من شهر صفر من نفس العام إلى الشام بأن الحج قد شلحه العرب ونهبوه والعرب سلبت النساء والرجال أموالهم وحوائجهم فضجت العالم وتباكت الخلق وأظلمت الشام وبلغ الناس بأنه جاء إلى المتسلم ستة مكاتيب أن يخرج إلى الحاج نجدة فلم يظهرها فقامت العامة وهجموا على المتسلم في السرايا ورجموه بالأحجار وفي يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر صفر أقبلت انكشارية الشام من جهة الحج ومعهم حجاج مركبين كل اثنين أو ثلاثة على دابة وهم في آخر درجة العدم والمنادي معهم معه راية بيضاء ينادي هذه راية الإنكشارية فضجت الناس بالبكاء والعويل وأخبروا أن خلفهم خلق كثير من الحجاج ومعهم النساء والبنات خفايا عرايا وفي يوم الجمعة ثالث عشر من ربيع الأول وصل خبر إلى دمشق أن عمر المحاميد شيخ حوران وجد المحمل والسنجق عند العرب وقد أرضاهم حتى فكهما منهم وفي السادس والعشرين من ربيع الأول وصل المحمل ودخل الشام وهو محمول على جمل وقد ستروه بثوبه الأخضر"[2].

---

(١) نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ، ج٢ ، ص ٦٧٤.

(٢)الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٢٠٦- ٢٠٧ – ٢٠٨.

أما في الحالات العادية فكان يجري استقبال القافلة في دمشق على النحو التالي : يدخل الجوقدار مابين الرابع والعشرين والسابع والعشرين من شهر محرم[1] ليبشر بسلامة الحجاج فيخرج الناس لملاقاة ذويهم الحجاج إلى خان دنون والبعض الآخر إلى أبعد من ذلك فإذا كان الوقت ليلا ينادون بأعلى أصواتهم يافلان ابن فلان باسمهم من أجل التعرف على أقربائهم بين هذا الحشد الكبير من الحجاج [2].

ثم يرافقونهم إلى دمشق حيث تكون شوارعها غاصَّة بالناس على امتداد أميال وبحشد كبير من المتفرجين وكان القلق باديا على وجوه بعض الناس حتى يطمئنوا على عودة الأقرباء والأصدقاء[3] والجميع ينظرون إلى الحجاج نظرة الاحترام والتبجيل تبركا بمن كحل عينيه بالكعبة المشرفة وقبل الحجر الأسود وصافحت عيناه مقام المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، وسجد لله في الروضة الشريفة [4] ولمن عانى تلك المعاناة وذاق الأمرين تطوعا وحبا في أداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام [5] وكان من الحجاج من هو سائر على قدميه أو راكب حمارا أو جملا أو حصانا أو في محفات على جانبي الراحلة [6].

وفي الاسبوع الأول من شهر صفر يدخل المحمل الشريف ويرافقه موكب من الباشاوات ويرافقه والي صيدا أو طرابلس ثم أمير الحج الشامي، ويدخل أمام أمير القافلة ٣٠٠

(١)الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ١٨٨.

(٢) الخياري، تحفه الأدباء وسلوة الغرباء، ص ٩٥.

(٣) نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ، ج٢ ، ص ٦٧٦.

(٤) الروضة الشريفة : هو الموضع الواقع بين المنبر النبوي وحجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم . وقد ورد فضل هذا الموضع في الأحاديث النبوية الشريفة منها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال " مابين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة "، عبد الغني: محمد إلياس، تاريخ المسجد النبوي الشريف، (الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ، ص ١٤٤.

(٥) كيال، محمل الحج الشامي ، ص ١٩٩.

(٦) نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ، ج٢ ، ص ٦٧٦.

دالي (خيال) على صهوات جيادهم مسلحين بأسلحة فردية متنوعة ثم عدد من الرجال على ظهور الجمال وهم مسلحون بالقربينات (بنادق قصيرة) يضعونها أمامهم مثبتة على قاعدة دوارة [(١)] ثم يدخل كبار ضباط دمشق مرتبين على نسق جيد وهم بملابسهم المزركشة ويسير خلفهم عدد من انكشارية والي طرابلس بسلاحهم الكامل، ويسير وراءهم الباشا نفسه مع ضبّاطه وبقية حرسه الخاص ثم يعقبهم عدد من الرجال المسلحين بالقربينات وعددهم ٣٠ رجلاً وخلفهم ١٥٠ رجلاً من الألبانيين في زيهم الخاص المميز يسيرون بتنظيم اثنين اثنين[(٢)] ثم يعقبهم السنجق الشريف وهو من الحرير الأخضر وعليه بعض الآيات القرآنية بخيوط من ذهب، تحميه عناصر من المشاة المغاربة الأقوياء ثم تعقبهم أطواخ الباشا الثلاثة وهي من شعر الخيل الأبيض يحملها عدد من الرجال على ظهور اثنى عشر حصانا سروجها مفرطة في زركشتها وزينتها، ويحمل كلٌّ واحد منهم ترسا فضيا وسيفا مقوسا ذا حدٍ وحيد ثم ستة رجال يقودون جمالا بحللهم القشيبة ويعقب هؤلاء عدد من أعيان دمشق، منهم آغا القابي قول في قلعة دمشق، ومن ورائه المحصل وأخيرا الباشا نفسه الذي يرتدي رداء من القماش الأخضر مزينا بفراء الثعلب الأسود ثم خلفه حرسه الخاص المكون من ٤٠٠ مسلح على ظهور جيادهم يسيرون على نسق دقيق ومن بعدهم ١٠٠ جمل تحمل خيام وحاجيات السفر كل ذلك والموكب يمر بدون جلبة أو ضوضاء والدماشقة واقفون للفرجة لساعات طويلة [(٣)].

أما الحجاج الغرباء فكانوا يتابعون مسيرهم باتجاه أوطانهم والبعض الأخر يبقى في دمشق لعدة أيام ثم يتابع طريقة باتجاه وطنه، ويستعد الحجاج الدماشقة لاستقبال المهنئين من الأقرباء والأصدقاء [(٤)].

---

(١)نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ، ج٢ ، ص ٦٧.

(٢) المكناسي، رحلة المكناسي ،ص٢٨٣؛ نعيسة، مجتمع مدينة دمشق ، ج٢، ص ٦٧٧.

(٣) نعيسة، المرجع نفسه .

(٤) المرجع نفسه.

وحال وصول تباشير قدوم الحجيج إلى موقع القدم يذهب إلى ملاقاته بعض أهله وأصحابه وجيرانه مصطحبين معهم الطبالين، ويبقى بعضهم الآخر في المنزل للإشراف على الزينة، وخدمة الزائرين للتسليم على الحاج فيواكب الملاقون مسيرة الحاج على الجمال حتى يوافوا الحي، فيستقبلهم وجهاء الحي وشبابه بالأهازيج وألعاب السيف والترس، والفرح يملأ الوجوه بالبشر والسرور، ثم يستأنفون سيرهم إلى دار الحاج فيستقبلونه بزغاريد النسوة، ثم يتوافد أهل الجيرة على الحاج للسلام عليه ويعانقونه ويمسحون وجوههم بثيابه، ويقبلون يديه اللتين لمستا الكعبة المشرفة والحجر الأسود ويباركون له بالتهليل والتكبير بقولهم :

"حجا مبرورا وسعيا مشكورا وتجارة لن تبور بإذن الله" ويطلبون منه الدعاء فيدعوا لهم ثم ينصرف الجميع ليتاح للحاج بعض الوقت يستجّم من وعثاء السفر والسلام على أهل بيته[١].

وبعد صلاة عصر يوم وصول الحاج يستقبل الحاج ضيوفه بالعناق والقُبلات ويستمعون إلى دعواته الخيرة لهم ويقصّ عليهم بعض ما لاقاه من مشاق وما تمتع به من مشاهد ومواقف في ربوع الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة وعرفة ومنى ومزدلفة تأخذ بمجامع القلوب وتأسر الألباب ، وبالطبع لا ينسى الحاج أن يطمئن زواره عن أخبار الحجاج الآخرين من أبناء الحي، ومن الزوار من يسأله عن قريب أو نسيب وصاحب له يطمئن على سلامته وتستمر هذه التهاني مدة ثلاثة أيام من بعد عصر يوم الوصول إلى بعد صلاة المغرب كل يوم وتقدم الضيافة للزوار من تمر المدينة المنورة وماء زمزم إضافة إلى القهوة العربية المرّة و السكاكر والنوكا وراحة الحلقوم المحشوة بالفستق الحلبي[٢].

---

(١)كيال ، محمل الحج الشامي ، ص ٢٠٥.

(٢)المرجع نفسه ، ص ٢٠٧.

وبعد انقضاء فترة الاستقبال والزيارات تفك الأحزمة وتخرج الهدايا التي حملها الحاج من مكة المكرمة والمدينة المنورة، وتختلف هذه الهدايا من حاج إلى حاج حسب مقدرته المالية [1] مابين المنتوجات والمصنوعات الهندية ومن تمر المدينة المدعو (جلبي) وهو كبير الحجم صغير النواة كثير الحلاوة لا مثيل له في سائر الجهات وماء زمزم والحناء وسجاجيد الصلاة والسبحات والمسوك (جمع مسواك) والأحجار الكريمة والخواتم وهي نوعان عقيق وفضة وعقود وخلاخيل وطاسات نحاسية وكاسات مكاوية (نسبة إلى مكة المكرمة) فيوزع ذلك على أهله وأصحابه وعلى من هاداه ثم يقوم الحاج برد الزيارات إلى مستقبليه وزائريه[2].

(١) كرد: محمد علي، خطط الشام، ج٦ ، (دمشق : مطبعة المفيد ، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م) ، ص ٢٨٢.

(٢)المكناسي، رحلة المكناسي، ص٢٨٣.

الفصل الرابع

مصـادر تمويل القافلة ونفقاتهـا

المبحث الأول : مصادر التمويل:

اولا:مال الميري.

ثانيا:مال البدل.

ثالثا:قافلة الجردة.

رابعا:الصرة.

خامسا:الدورة.

المبحث الثاني : نفقات القافلة.

المبحث الثالث: مردود القافلة على المنطقة اقتصاديا.

المبحث الأول: مصادر التمويل

رصدت الدولة العثمانية عدة موارد لتمويل قافلة الحج الشامي ولتأمين نفقاتها، وقد تنوعت المصادر المالية فجاء قسم كبير منها من الضرائب التي أشير إليها بمال الميري[(١)] كما ساهم مال البدل في تمويل قافلة الحج، وكان لقافلة الجردة والصرة والدورة دور كبير في تمويل القافلة وسد احتياجاتها، والتي سنتعرف عليها الآن بشي من التفصيل ونبدأ بمال الميري.

أولا: المال الميري

هي الضرائب والرسوم التي تفرضها الدولة العثمانية على التجارة والصناعات في ولايات الشام بصوره عامة وعلى صيدا وطرابلس وحلب بصورة خاصة [(٢)] نظرا لقربها من دمشق [(٣)] لتمويل قافلة الحج، حيث عرف المال المخصص لذلك بأنه "مال الحج" والمال المخصص للجردة بأنه "مال ملاقاة الجردة "[(٤)].

فعندما عين والي دمشق أميرا للحج (١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م) أصبح يخرج بنفسه قبل ثلاثة أشهر من بداية سفره مع فرقة عسكرية ليدور على السناجق التابعة لولايته ويجمع منها مال الميري المخصص للقافلة حيث عرف خروجه هذا بالدورة[(٥)].

---

(١) الميري : نسبه إلى لفظه (أمير) العربية ، وهي اختصار للتعبير المالي الميري أي الضريبة، والميري هو المال المفروض على الارزاق والأعناق لحساب خزينة الدولة العثمانية. الصباغ: عبود، الروض الزاهر في تاريخ ظاهر، تحقيق: محمد محافظة وعصام هزايمة،(أربد: مؤسسة حمادة ،١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)،ص٢٢.

(٢) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١١.

(٣) رافق، العرب والعثمانيون، ص ٢٠٣.

(٤) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص١١.

(٥) الصباغ ، الروض الزاهر ،ص٥٢ ؛ دوماني: بشارة ، إعادة اكتشاف فلسطين (أهالي جبل نابلس ١٧٠٠- ١٩٠٠) ، (بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) ، ص ٢٩.

وقد احتلت أموال الميري مكانة هامة في مجال العلاقات بين الدولة وولاتها وبين السلطات المحلية، واعتبرت قدرة المتسلم[١] على تحصيل الميري والذخائر دليلا على حسن ولائه وشرطاً من شروط تعيينه ودوام رضا الدولة عليه، لذلك كانت الدولة تحذر المتسلم باستمرار من التهاون أو التقصير في هذه المسالة حيث اعتبرت أن هذا قرش[٢] ميري ما فيه عذر ولا جواب وهو فرض عين[٣] .

وكانت مالكانات[٤] حمص وحماه ومعرة النعمان التي التزمت ضرائبها مدى الحياة الحقت بوالي دمشق منذ أن عين أميرا للحج لينفق من عائداتها على قافلة الحج[٥].

---

(١) المتسلم: اسم يطلق على متسلم وظيفة أو منصب عالي إلى حين وصول المتعين الجديد وكان يسمى به أيضا الوكيل الذي يقوم بالإشراف على العمل إلى حين عودة سلفه من الحرب أو السفر وقد أطلق أيضا على الأشخاص الذين وجهت إليهم إدارة السناجق والأقضية التابعة للولاة والمتصرفين قبل عهد التنظيمات . صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٢) القرش: هو القرش العددي وهي من العملات التي كانت تستخدم في فلسطين وكان يساوي في نابلس٣٠ قطعه مصرية . غنايم : زهير، جباية الرسوم والضرائب من الأراضي الزراعية في فلسطين في ظل نظام التيمار والتأجير، المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام، ١٠ -١٤ جمادى الأول ١٤٣٣هـ/ ١-٥ نيسان ٢٠١٢م ، ص ٢١.

(٣) بني يونس، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ٦٢.

(٤) مالكانات: جمع مالكانة وهو نظام متطور لنظام الالتزام عرف بأنه عبارة عن منح المقاطعات بطريقة الالتزام مدى العمر وقد بُدئ بتوجيه المقاطعات بهذا الشكل اعتبارا من أواخر القرن السابع عشر حيث كان يتم بيع موارد المقاطعات إلى القطاع الخاص نقدا أو مقابل أقساط يتم إيفاؤها سنويا، ولا ينبغي اعتبار المالكانة ملكاً خاصاً إذ أن المالكانة بوصفها نظاما لم تكن أكثر من التزام مقاطعة مدى العمر أي أن الذي يلتزم المقاطعة يتصرف بها حتى وفاته ولا تنتقل بطريقة الوراثة إلى أبنائه، بيات: فاضل ، الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا (مطلع العهد العثماني – أواسط القرن التاسع عشر) ، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ،١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م) ، ص١١٩ .

(٥) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١١.

ثانيا: مال البدل

المال الذي يدفعه أصحاب الاقطاعات من الجنود السباهية (الفرسان) لقاء إعفائهم من القيام بالخدمة العسكرية، وقد حدث ذلك بعد أن تضاءل شأن الجنود السباهية بالمقارنة مع الإنكشارية أصحاب النفوذ المتزايد[١] .

ثالثا: قافلة الجردة

تُعد الجردة من توابع الحج، وهي عبارة عن قافلة تحمل مؤن الحجاج في طريق عودتهم من الحجاز[٢] وكان يعد قافلة الجردة ويقودها إلى الحجاز أحد باشوات حلب أو طرابلس أو صيدا ، وإذا آثر الحجاج في طريق عودتهم أن يسلكوا الطريق الغزاوي[٣] على الطريق السلطاني (وهو أقصر من الأول ولكن أقل أمنا) إيثارا للسلامة من اعتداءات الأعراب كان أهل غزة يعدون جردة محملة بالمؤن ويخرج بها حاكم غزة لملاقاة قافلة الحج في معان،[٤] وقد ألحقت الدولة ميناء اللاذقية بباشوية طرابلس ليستعين الباشا بإيراداتها في إعداد الجردة التي يقودها، وتتكون الجردة كما سبق و ذكرنا من البقسماط والزيت وأرز وشعير وعليق[٥]وحبال وملابس وغيرها مما يستفيد منها الحاج خوفا من أن يكون ما عندهم منها قد نفد،[٦] حيث لم يكن في مقدور القافلة التزود بما يكفيها من الزاد والماء والعلف للدواب للعودة والوصول إلى دمشق[٧].

---

(١)رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١١.

(٢) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ١١.

(٣) الطريق الغزاوي : سمي بذلك نسبة إلى غزة في فلسطين . المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) العليق : نوع من أنواع الثمار .

(٦) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ١١.

(٧) كيال، محمل الحج الشامي، ص ١٩٠.

وما أن تنطلق قافلة الحج الشامي إلى بلد الله الحرام مكة المكرمة تكون الدولة قد وقع اختيارها على أحد وزرائها أو ولاتها لملاقاة قافلة الحج[١] وكان برتبة باشا، وعُرف أيضا بلقب باشا جردة وجردة جي و سردار الجردة وأمير الملاقاة[٢]، وممن عين في هذا المنصب والي طرابلس عثمان باشا الصادق،[٣] إذ عين سردارا للجردة عام ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م وقد أشاد الشيخ البديري الحلاق بحسن صنيعه عندما انتظر الحجاج في هديه أحد عشر يوما، وهذا أمر ما سبق لأحد غيره حيث أغاث الحجاج بالإكرام وأطعم الجائع وسقى العطشان وركب العيّان وكسا العريان[٤].

ونظرا لتعرض الجردة إلى هجمات بعض القبائل البدوية فقد اضطرت القافلة إلى التسلح إذ كان يصاحب قافلة الجردة طوائف من الجند لحراستها والاشتراك مع الجنود المرافقين لأمير الحج في حراسة قوافل الحجاج في طريق العودة،[٥] أما من ناحية القيادة فلم تكن قيادة الجردة حكرا على باشوية معينة، فقد أصاب هذا المنصب ما أصاب منصب قيادة الحج من تبدل وتغير، ففي القرن الحادي عشر الهجري /السابع عشر الميلادي كان يتم اختيار قائد القافلة من أبناء العائلات المحلية أو من آغاوات اليرلية واستمر الوضع كذلك حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي[٦] ومع بدايات القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي أصبح

---

(١)الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٥٢.

(٢) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني،ص ١٠.

(٣)عثمان بن أحمد باشا بن صادق الحنفي القسطنطيني: أحد الأفاضل المشهورين تولى ولاية طرابلس ثم أصبح سردارا للجردة عام ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م ونتيجة لجميل صنعه أولته الدولة العثمانية ولاية الشام وولت ولده ولاية طرابلس. الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٢٣١؛ المرادي : محمد خليل، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ج٣ ، (بغداد : مكتبة المثنى ، ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م) ص ١٤٧- ١٤٨.

(٤) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٢٣١.

(٥)المصدر نفسه ، ص ٥٢.

(٦)Rafeq: The Province of Damascus, p 65.

باشاوات طرابلس أو صيدا وفي حالات نادرة والي حلب[1] يعينون أمراء لقافلة الجردة ويعود سبب كثرة اختيار ولاة صيدا وطرابلس لهذه المهمة إلى قرب هاتين الولايتين من دمشق وبصورة أهم إلى كون هؤلاء الولاة يمتون غالبا بصلة القربى إلى ولاة الشام[2]كما أن نجاحهم في تأمين موارد الجردة يساهم في تجديد الإمارة لهم في السنة التالية إذ كان السلطان يعتمد في تعيينه لأمير الجردة على ترشيح والي دمشق له وقد أخذت هذه الترشيحات أهمية كبيرة عندما أصبح للعائلات المحلية نفوذ كبير في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي إذ كان والي الشام يفضل وجود قريب له في إمارة الجردة تجنبا للخلاف معه فعندما كان أسعد باشا العظم[3] واليا على دمشق كان أفراد عائلته يحكمون صيدا وطرابلس وحلب ، وكان أمير الجردة واحدا من ولاة إحدى المدن الثلاثة السابقة وهذا الوضع عكس النفوذ الذي وصلت إليه الأسرة العظمية في ذلك الوقت[4].

وقد اعتمد أمير الجردة في تمويل القافلة على عده مصادر كميناء اللاذقية الذي ألحقته الدولة بباشوية طرابلس ليستعين بإيراده في تمويل الجردة كما سبق أن ذكرنا إضافة إلى الضرائب التي كان يفرضها على الأهالي والتجار العرب والأجانب[5] وكثيرا ما سببت هذه الضرائب العصيان والمشاكل في الولايات التي كانت تفرض فيها، فعندما طلب سعد الدين باشا العظم

---

(١) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١٠.

(٢) رافق، العرب والعثمانيون ، ص ٢٠٣.

(٣) أسعد باشا العظم: تولى ولاية دمشق لمدة أربعة عشر عاما متوالية (١١٥٦- ١١٧٠ هـ/ ١٧٤٣- ١٧٥٦م) في ظروف صعبة ، اتصف بقوة شخصيته وهيبته حتى إنه ما كاد يختفي من دمشق حتى أطلت الفتنه برأسها. الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٣٥- ٣٦.

(٤) Rafeq: The Province of Damascus, p 68.

(٥) العبد، حوادث بلاد الشام والإمبراطورية العثمانية، ص ٨٤.

والي حلب من أهلها أن يجمعوا له ٢٠٠ كيس (والكيس خمس جنيهات) لنفقات الجردة رفضوا ذلك وأدى هذا إلى حدوث عصيان وقلاقل في المدينة[١].

وقدر الرحاله الفرنسي فولني أن الجردة كانت تكلف الباشا ٧٥٠ كيسا [٢] كانت تنفق على شراء اللوازم الضرورية واستئجار قوات ترافقها للحماية في رحلتها التي كانت تستغرق حوالي ثلاثة أشهر[٣].

وجرت العادة أن تصل قافلة الجردة من حلب أو طرابلس أو حتى صيدا إلى دمشق بمنتصف ذي القعدة وتغادرها في الرابع عشر من ذي الحجة بقيادة أميرها سالكة نفس الطريق الذي سلكته القافلة[٤] فتقابل قافلة الحج في طريق عودتها في هدية على بعد ٢٢ يوما من دمشق و ثلاثة أيام من المدينة المنورة وهي أبعد نقطة وصل إليها أمير الجردة[٥] ولم يكن هذا المكان ثابتا أو محددا، فقد كانت تبوك هي مكان الالتقاء في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ثم تحولت في القرن التالي إلى مدائن صالح[٦].

وكان مكان التقاء قافلة الجردة بقافلة الحج في طريق عودتها يعتمد على زمن مغادرة الجردة لدمشق وعلى التهديد الذي يتعرض له الحجاج واستعدادات رئيس الجردة [٧] وتستغرق الجردة في رحلتها حوالي خمسين يوما ذهابا وإيابا [٨] منها عشرة أيام تقضيها عند التقائها بقافلة الحج إذ ينزل الحجاج ضيوفا لدى أمير الجردة وغالبا ما كانت الجردة تسبق قافلة الحج في

---

(١) الغنيمي، دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق المخطوط ، ص ٩٣.

(٢)الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ١١.

(٣)الغنيمي، دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق المخطوط ، ص ٩٤.

(٤) كيال، محمل الحج الشامي، ص ١٩٣.

(٥) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ١١؛ رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١٠.

(٦)Rafeq: The Province of Damascus, p 86.

(٧) الغنيمي، دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق المخطوط، ص ٩٤.

(٨) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ١٢.

العودة إلى دمشق وفي أحيان قليلة كانت القافلتان تدخلان معا ويحدث هذا عندما يكون الأميران من نفس العائلة(١).

وقد جرت العادة أن يتم إرسال جردة ثانية عند حدوث أي طارئ أي عندما تتعرض القافلة الأولى للهجوم والنهب وكان تجهيزها ونفقاتها تقع في أغلب الأحيان على سكان دمشق الذين كانوا يخرجون تطوعا حاملين ما يستطيعونه من ملابس وطعام لمساعدة الحجاج كما حدث عام ١١٧١هـ/١٧٥٧م عندما بلغ الناس خبر الهجوم على قافلتي الحج والجردة فاجتمعت الموالي (الخدم والحلفاء) والآغاوات ونادوا بأن يخرجوا حوائج وثياب مفصلة ومخيطه ونعال وزرابيل وأن يخرج رجال لملاقاة الحاج(٢) ليعكس ذلك أهمية قافلة الجردة في تقديم العون للقافلة عند تعرضها للخطر.

رابعا: الصرة

الصُّرة لغة من صرَّ أي شرج الدراهم والدنانير وصرها صرا أي شدها أو ربطها وأصل الصرِّ الجمع والشد(٣) أما اصطلاحا فقد أطلقت في المعاملات على مبلغ خمسين ألف أقجه(٤)

(١) Rafeq: The Province of Damascus, p 86.

(٢) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٢٠٦.

(٣) ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، م٥، (القاهرة: دار الحديث١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م) ، ص ٣١٣.

(٤) أقجه : كلمة مغولية الأصل معناها القطعة البيضاء ويقول المؤرخ التركي إبراهيم حلمي أنها تعني غرش وهي من أقدم فئات العملة العثمانية الفضية، سكت في عهد السلطان أورخان ت (٧٦٢هـ/١٣٦١م) سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م وأحتفظت في وزنها وبقيمتها حتى عهد السلطان محمد الفاتح فكان وزنها لا يزيد على ربع مثقال من الفضة الخالصة بنسبة ٩٠ في المئه ، وتعرضت للعديد من التغيرات في عيارها ووزنها وقيمتها وقيل إن كل بارة تساوي أقجه ونصف وبقيت العملة المتداولة حتى نهاية القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، ومع ذلك استمرت لقرن حتى عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م.أوغلي:خليل ساحلي، النقود في البلاد العربية في العهد العثماني، مجلة كلية الأداب، الجامعة الأردنية ، السنة ٢ ،١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، ص ١٠٨– ١٠٩؛ عامر: محمود علي، المكاييل والأوزان والنقود منذ فجر الإسلام وحتى العهد العثماني (دمشق : مطبعة ابن حيان ،١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ص ١٨٢– ١٨٣.

أي نصف حمل من المال واستخدمت من العثمانيين لتعني كيس النقود التي كانت الدولة العثمانية ترسلها إلى أهالي مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف[١].

وقد بدأ إرسال الأموال إلى الحرمين الشريفين في العهد العباسي واستمر في عهد الفاطميين والأيوبيين والمماليك واتخذت شكلا نظاميا خصصت لها مؤسسة خاصة في عهد العثمانيين [٢].

وأول من أرسل أموال الصرة من السلاطين العثمانيين إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة هما السلطان بايزيد الأول (٧٩١- ٨٠٥هـ/ ١٣٨٨- ١٤٠٣م) وابنه السلطان محمد الأول (٨١٦- ٨٢٤هـ/ ١٤١٣- ١٤٢١م) ثم تبعهما ابنه السلطان مراد الثاني (٨٢٤- ٨٥٥هـ/ ١٤٢١-١٤٥١م) [٣]، وفي عهد السلطان سليم الأول (٩١٨- ٩٢٦هـ/ ١٥١٢-١٥٢٠م) أصبح ارسال الصرة إلى الحرمين الشريفين من المهام الرئيسية للدولة حيث كانت ترصد لها مبالغ معينة من خزينة الدولة [٤]وكانت الدولة العثمانية تحرص على إيصال الأموال إلى كافة مستحقيها في بلاد الحرمين، وكان يتم تسليم الصرة بحضور إمام الحرمين وقاضي مكة المكرمة والمدينة المنورة[٥]. فكان مقدار ما أرسلته الدولة العثمانية في عام ١١٧٧هـ/١٧٦٣م إلى فقراء مكة خمسين ألف قرش وتساوي ثمانية عشر ألف ومائة وواحد وثمانون قطعة زر محبوب من العملة الرائجة في استانبول[٦].

---

(١) صابان، سهيل، مخصصات القبائل العربية من واقع الصرة العثمانية ص ١-٥.

(٢) المرجع نفسه ،ص ٦.

(٣) جارشلي، أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، ص ٥١.

(٤) الحزماوي ، الصرة السلطانية لعلماء القدس الشريف ، ص ٧٢.

(٥)وثيقة عثمانية بخصوص الإخطار بان أمير مكة تسلم الأموال المرسلة من استانبول إلى مكة مع أمين الصرة، رقم ٢٦٢٧٢/٥٢٠،CEVK، بتاريخ ١١٧٧/١٢/٢٣هـ /١٧٦٤/٦/٢٣م..

(٦)وثيقة عثمانية بخصوص الامر بصرف ٥٠٠ سكة حسنة إلى مكة المكرمة مع الصرة الهمايونية كما هو معتاد رقم ١٧١٣١/٣٤٣، C.EVKkبتاريخ ١١٧٧/١/٢٤هـ/ ١٧٦٣/٨/٤م.

كما كانت الدولة العثمانية تقدم صرة مالية عرفت بصرة العربان للقبائل البدوية كقبيلة عنزة[١] التي تقطن في شمال شبة الجزيرة العربية على طريق الحج وكذلك قبيلة بني حرب[٢] وبطونها بين المدينة وينبع البحر[٣] وقبيلة زبيد في أطراف عقبة السويق [٤] التي تقيم على الطريق من الشام حتى الحرمين الشريفين لاستمالتها وضمان ولائها وعدم تعرضها لقافلة الصرة لدى مرورها بالأراضي التي تسيطر عليها تلك القبائل وقد بلغ مقدار الصرة المالية التي قدمت لتلك القبائل أوائل القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ٢٠ ألف قرش سنويا[٥]. و يشير ابن كنان إلى أن استيلاء أمراء الحج على الصرة وعدم تسليمه لأصحابها من البدو هو العامل الأساسي لهجمات القبائل البدوية فقد أشار إلى أن أمير الحج عساف باشا متسلم لواء عجلون ارتكب أخطاء أدت إلى مهاجمة القبائل البدوية لقافلة الحج منها ابتزازه أموالا من بعض الحجاج الأعاجم وعدم تسليمه الصرة لأصحابها [٦].

(١) قبيلة عنزة : تقطن شمال الجزيرة العربية وهي تنقسم إلى أربعة أقسام كبيرة وإحداها هي قبيلة أولاد علي القاطنة بين الزرقاء وقلعة خيبر على طريق الحج وإن اغلب أفراد قبيلة طلوح هي فرع من قبيلة أولاد علي الذين كانوا يتواجدون على طريق الحج وكانت لهم صرة وخلعه مخصصه من قبل الحكومة. جارشلي، أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني،ص٨٢.

(٢) قبيلة بني حرب : هي قبيلة أكثرها من العدنانية ، ليست منحدرة من سلاله واحده بل من مجموعة أحلاف، توجد في نجد والحجاز ففي الحجاز تمتد ديارها من جنوبي ينبع إلى القنفذة على محاذاة الساحل وحول المنطقة الجبلية الممتدة من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج ١، ص ٢٥٩.

(٣)وثيقة عثمانية بخصوص معاملة جرت حول الصرة التي طلبها عربان حرب من عثمان باشا أمير الحج السابق ، رقم٢٧١٠٨/٥٣٧،CEVK، بتاريخ ١١٩١/٥/٢٩هـ / ١٧٧٧/٥/٥م .

(٤)وثيقة عثمانية بخصوص الإخطار بان أمير مكة تسلم الأموال المرسلة من استانبول إلى مكة مع أمين الصرة، رقم ٢٦٢٧٢/٥٢٠،CEVK، بتاريخ ١١٧٧/١٢/٢٣هـ /١٧٦٤/٦/٢٣م.

(٥) جارشلي، أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، ص ٦٠ ؛ بيات ، الدولة العثمانية في المجال العربي، ص٩٥– ٩٦.

(٦) ابن كنان، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، ص ٣٩.

وتتألف أموال الصرة هذه من إيرادات الأوقاف التابعة للحرمين الشريفين إضافة إلى جانب من إيرادات الأوقاف الإسلامية وإيرادات الجزية[1] وما يقدمه بعض أهل الخير من حصة معينة من إيرادات الأوقاف التي يوقفونها أو يحصلونها [2]، كما كانت تجمع من كبار الأغنياء والتجار أو من رجال الدولة من خلال جولة أمين الصرة عليهم لهذه الغاية يرافقه بعض معاونيه من دار إلى دار ينشدون ويدعون لمن يرسل لهم الدراهم وعندما يقارب نصف شعبان يجتمعون في قاعة الأستانة لتجهيز محمل وتحت أمين الصرة ثم ينتقلون إلى الباب العالي ثم تقوم نظارة الأوقاف بكتابة دفاتر وتهيئة الدراهم المطلوبة ووضعها في صناديق قد يصل عددها إلى ثمانية وخمسين صندوقا محملة على تسعة وعشرين جملا يرفق بها المكاتيب الخاصة من السلطان إلى أمير مكة المكرمة[3] كما ترافقها صناديق الإحسان إلى الفقراء في الحرمين الشريفين ثم ينتقل المحمل إلى بيروت فالشام ليسافر مع قافلة الحج الشامي إلى الحجاز، ويبدو أن الصرة كانت ترسل إلى القاهرة ثم جنوب شرقي الأردن قبل أن ترسل من استانبول إلى دمشق في مطلع القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي وتكلف الصرة الحكومة العثمانية بحدود

(١) الجزية : يؤديها أهل الذمة مقابل تعهد الدولة بحمايتهم ويشترط بمن يؤدي الجزية أن يكون ذكرا بالغا صحيح البدن قادرا على العمل ويعفى منها النساء والأطفال والمرضى والشيوخ غير القادرين على العمل والرهبان، وتؤخذ من أصحاب الثروات القادرين على تأديتها على الرغم من عدم اشتغالهم ، كما تسقط عنهم في حالة دفاعهم عن البلاد الإسلامية، وتؤدى على ثلاثة مستويات بحسب الحالة المالية للمكلفين، واستمر العمل بالجزية حتى عام ١٢٧١هـ/١٨٥٥م بعد أن صدرت الإرادة السلطانية التي قضت بفرض الجندية على غير المسلمين. القضاة: أحمد حامد، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م) ، ص ٣٣٨-٣٤١.

(٢)فقد كان يرسل في كل سنة من مدينة حلب صرة مع قافلة الحج توزع على اهالي مكة. وثيقة عثمانية: دفتر تقسيمات الصرة الحلبية على أهالي مكة، رقم ١١٥١، TS.Mad بتاريخ ١٠٠٢/٨/١هـ /١٥٩٤/٤/٢٢م؛ وثيقة عثمانية بخصوص توزيع الصرة الهمايونية على مستحقيها، رقم٥٥٤/٢٧٩٥٨،CEVK، بتاريخ ١١٢٣/٤/١٦هـ /١٧١١/٦/٣م.

(٣) كان أمين الصرة يسلم الكتاب السلطاني المكتوب باللغة العربية إلى أمير مكة المكرمة وفق مراسيم معينة ويقوم أمير مكة المكرمة بتقبيل الكتاب السلطاني ووضعه على رأسه ثم يقوم بقراءة الكتاب السلطاني علنا في منى الواقعة على مسافة أربع ساعات من مكة. جارشلي، أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، ص ٥٩ .

١٠٠،٠٠٠ ليرة ذهبية كل عام ينفق الجانب الأكبر منها على البدو كأجور للجمال والهدايا[١].

كما اشتملت أموال الصرة على هدايا من مجوهرات وملابس ترسل لبنات الشيوخ وفي حالة وفاة احد الشيوخ تسمى حينذاك "صرة البنت"[٢].

و في بداية شهر ذي الحجة تصل قافلة الصرة إلى مكة المكرمة حيث تقدم أكياس الصرة والدفتر الذي يتضمن أسماء الأشخاص الذين يستلمون الصرة ومقاديرها إلى الشريف وكانت هذه الأموال توزع تحت إشراف أمير مكة المكرمة وشيخ الحرم وأمين الصرة وقاضي مكة [٣] أما أموال الصرة التي لم تسلم لأشخاصها إما لسبب وفاتهم أو غيابهم فإنها تسلم مرة أخرى إلى أمين الصرة الذي يعيدها إلى استانبول، أما الصرة المخصصة لأهالي المدينة المنورة فقد كانت توزع تحت إشراف وكيل أمير مكة المكرمة هناك وقاضي المدينة المنورة وشيخ الحرم النبوي وكاتب الصرة مع تبليغ الحكومة بالكيفية التي تمت بها التوزيعات[٤].

---

(١)وثيقة عثمانية: أمين الصرة الهمايونية يطلب ستة جمال لحمل الصرة من الشام إلى مكة، رقم ١٢٩٩،C.DAH، بتاريخ ١١٧٥/٦/١٩هـ/ ١٧٦٢/١/١٥م.

(٢) المصدر نفسه .

(٣)وثيقة عثمانية، بخصوص الرسالة التي ترسل كل عام إلى أمير مكة مع أمين الصرة. رقم ١٠٢٠٥، C.DAH، بتاريخ ١١٧٢/٦/١هـ./ ١/٣٠ / ١٧٥٩م.

(٤)وثيقة عثمانية: دفتر بخصوص توزيع الصرة الهمايونية على مستحقيها في المدينة المنورة، رقم ٢٨٠١، E-Eva، بتاريخ ١١٠٣/٦/٢٩هـ/ ١٦٩٢/٣/١٨م؛ جارشلي، أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، ص ٥٩.

خامسا: الدورة

ارتبط خروج قافلة الحج الشامي بقيام والي دمشق بجولة سنوية على السناجق التابعة لولايته قبل خروجه بقافلة الحج بمدة تتراوح ثلاثة أشهر[1] وهي جولة تفتيشية يقوم بها والي دمشق وبعض جنوده في جهات نابلس وعجلون[2] وقد يمر على طبريا وجنين ويستمر أحيانا إلى القدس[3] وسمي خروجه هذا لجمع المال من الملتزمين في الولاية (بالدورة) إذ يخرج الباشا من دمشق من أجل ذلك في أواخر رجب أو في أوائل شعبان ويعود إليها في أوائل شوال وقد يتقدم خروجه لهذه المهمة عن هذا الموعد فيخرج في أواخر جمادى الثاني أو في أوائل رجب وقد يتأخر إلى أوائل رمضان وفي هذه الحالة لا تدوم الدورة أكثر من شهر وعليه أن يعود مسرعا إلى دمشق لأن العادة جرت أن يخرج الحاج وركب المحمل في منتصف شوال[4] ، وكان يَستهدِف من الدورة أمرين هامين :

الأول : جمع الأموال الأميرية ليستعان بها في إعداد قافلة الحج والمحمل[5] من سكان المناطق الجنوبية من ولايته التي يحكم فيها أصحاب العصبيات من شيوخ القبائل وبعض المتنفذين[6]. وعندما يحاول أحد الملتزمين التهرب من دفع ما عليه يقوم الباشا أمير الحج بإجباره على دفع ما عليه، كما حدث عندما هجم والي دمشق سليمان باشا العظم (١١٤٥-

(١) ابن كنان، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية ، ص ٤١٣.

(٢) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٥٠.

(٣) بني يونس، قافلة الحج الشامي في شرقي الأردن، ص ٦٢.

(٤) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٥٠.

(٥) ابن كنان، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، ص ٤١٣.

(٦) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٥٠ .

١١٥١هـ/ ١٧٣٣- ١٧٣٨م) على الشيخ ظاهر العمر(١) المتحصن في طبرية وكان لنابلس وبيت لحم والخليل شهرة في الخروج على الدولة والامتناع عن دفع أموالها(٢).

الثاني : إظهار سطوة الدولة وإثبات وجودها في تلك الجهات التي ستمر منها قافلة الحج والمحمل في طريقهما إلى بيت الله الحرام فيتورع من تسوّل له نفسه التعدي على القافلة (٣).

ورغم تشديد الدولة في تحصيل مال الدورة إلا أن بعض المتسلمين في الصناجق رفضوا دفع الأموال المترتبة عليهم مما استوجب عزلهم واستبدالهم بمتسلمين طائعين لأوامر الدولة في تحصيلها (٤)، كما حصل في متسلمية نابلس والذي ينطبق على غيرها من المتسلميات في مناطق ولاية الشام الأخرى " تحيطون علما أنه بهذه الأثناء بحسب ما صدر من موسى بيك طوقان من الحركات غير المرضية تسلب راحة الفقراء والرعية لزم الآن عزلناه من متسلميته نابلس صونا... ووكلت بالمتسلمية المرقومة من طرفنا قدوة الأماجد المكرمين الحاج أحمد الجزار(٥)

---

(١)الشيخ ظاهر العمر الزيداني: (١١٠٦-١١٩٦هـ/١٦٩٥-١٧٧٥م) من الشخصيات البارزة في تاريخ سوريا في النصف الثاني من القرن الثاني عشر/الهجري الثامن عشر الميلادي كان ينتمي إلى قبيلة بفلسطين تدعى الزيادنة بدأ بأن نال ولاية طبريا والتزام أموالها من باشا صيدا، فلما استقر بها حصنها ودعا أهلها إليها واستخدم الجند وكثر أتباعه وتحالف مع أقوى القبائل العربية الضاربة في تلك الأنحاء وهم بنو صخر ثم شرع يضم البلاد التي حول طبريا شيئا فشيئا سواء سلما أو حربا ويطلب من وزير صيدا التزامها مدعيا أنه يريد حمايتها من العربان حتى قوى سلطانه وذاع صيته فضم إليه عكا وقد جعلها قاعدة له وحصنها كما ضم إليه بلاد نابلس وحيفا وصفد ولقب بشيخ مشايخ صفد . الصباغ: ميخائيل نقولا، تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني حاكم عكا وبلاد صفد ، نشر وتعليق : قسطنطين باشا ، (لبنان : مطبعة القديس يوسف ، د.ت) ، ص ٦٣- ٦٤؛ الصباغ، الروض الزاهر،ص٢٠.

(٢) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٥٠.

(٣)المصدر نفسه .

(٤) بني يونس، قافلة الحج الشامي في شرقي الأردن، ص ٦٣.

(٥) أحمد الجزار: من أشهر الولاة العثمانيين بالشام، ارتبط اسمه بمدينة عكا التي لا تذكر إلا مقرونة به إذ هو الذي أعاد بناءها، اشتهر الجزار باستقلاله عن الباب العالي الذي أعياه أمره، وعرف بالقسوة والشدة وسفك الدماء ومنها لقبه الجزار، كما قاوم الحملة الفرنسية على الشام. المكناسي، رحلة المكناسي، ص ٢٨٨.

فتكونوا معه يدا واحدة وسراي واحد في صيانة الفقراء والرعية ودفع أسباب التقدم في كل وجه وتبادروا بروية ساير الخدمات المبرورة والعايدة للطريق الحجازي المبارك وتحصيل أموال الميرية المرتبة واستيرادها حسب العادة والدأب القديم ... "[1].

كما أشارت بعض المصادر إلى أن جولة الدورة كان يرافقها حملة تأديبية للعربان الذين يقعون على طريق الحج الشامي ففي عام ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م نجد أن أسعد باشا والي الشام استجلب معه عسكر من حمص وحماه والمعرة وجبل الدروز يريد الغزو على عرب البلقاء فنهبهم العسكر عن بكرة أبيهم[2] .

كما يبدو أن جولة الوالي التفتيشية كانت من الرهبة والسطوة مما تجعل الأسواق تغلق في تلك الأيام وتمنع السكان من الخروج وتعظم الأمور وربما يكون العربان هم المقصودون في هذا الغزو أكثر من غيرهم خوفا من اعتدائهم على القافلة، فنجد أن والي الشام أسعد باشا قد سار بالعسكر إلى فوق البلقاء ودخل بمكان يقال له (الوكر) وهزم ابن عدوان وعربه واستمر الباشا إلى الدورة من هناك [3] فتكون الدولة قد حققت هدفها في إظهار السطوة في طريق الحج الشامي ثم تبدأ بتحقيق هدفها الآخر الذي يتمثل في جمع مال الميري.

---

(١) بني يونس، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن، ص ٦٣.

(٢)الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ١٧٦.

(٣)المصدر نفسه.

المبحث الثاني: نفقات القافلة

أولت الدولة العثمانية عناية كبيرة لقافلة الحج الشامي خاصة من الناحية المالية وكان على والي دمشق أن يوفر مبالغ كبيرة لتسيير القافلة وتوفير الحماية لها[١].

فقد أنفق والي دمشق الكثير من الأموال على احتياجات القافلة المختلفة مثل استئجار الجمال لحمل الحجاج وأمتعتهم وبضائعهم ذهابا وإيابا[٢]وتذكر سجلات المحاكم الشرعية عن أسماء القبائل البدوية وزعمائها الذين كانوا يؤجرون الجمال لوالي دمشق لاستخدامها في قافلتي الحج والجردة، حيث اشتهرت قرى حوران وملجم وطفس وقبائل العنزة وصخر والسردية بتقديم الجمال وفق عقود تأجير يتم توثيقها في المحكمة الشرعية يحدد فيها أسماء القرى والقبائل التي قدمت الجمال وأعدادها والمكان الذي ستنقل منه وإليه الأمتعة والبضائع والأجرة التفصيلية لكل مرحلة وعددها وكيفية دفع الأجرة نقدا أم بالتقسيط والإقرار بين المؤجرين بتضامنهم والعمل على سد النقص إن وجد[٣]حيث حضر جماعة من أهالي قرية الطره من ناحية حوران وهم الشيخ شهاب الدين بن حمد شيخ القرية والشيخ قاسم بن محمد بدوي وإبراهيم بن محمد عميان وأقروا أنهم تسلموا من جناب والي الشام عثمان باشا مبلغا وقدرة ستة آلاف قرش وخمسمائة أجرة مائة جمل ليحملوا أثقال الوزير من مزيريب لمكة في شهر شوال من تاريخه عن كل جمل خمسة وستون قرشا وأنهم متضامنون في ذلك وذلك بحضور وكيل الوالي[٤].كما

(١) الشرعة: إبراهيم فاعور، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد ٢٩ ، العدد ٢ ،١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٣٢٢.

(٢) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١٣.

(٣)الغنيمي، دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق المخطوط ، ص ٩١.

(٤) المرجع نفسه.

استخدمت تلك الأموال لشراء السلع التي لا غنى عنها للقافلة كالطحين والحبوب واللحوم والخضار والبقسماط.

كما انفق أمير القافلة العديد من الأموال على استئجار القوات العسكرية المرافقة للقافلة وبما أن معظم هذه القوات كانت مرتزقة(١) فقد كانت تقبض أجرها قبل أن تتحرك القافلة من دمشق(٢)، إضافة إلى ما كان أمير القافلة يدفعه للقوات المرابطة في القلاع والمنازل على طريق الحج والمكلفة بحماية الطريق وحراسته وكثيرا ما عمد أمراء القافلة إلى شراء المزيد من خدمات المرتزقة عندما كانوا يشعرون بالخطر، كما فعل الوالي عبد الله باشا الجته جي(٣) عندما دعم قواته من اللاوند(٤) والأرناؤط(٥) والأكراد بجنود إضافيين من الأتراك والمغاربة عندما سمع بتجمع قبيلة حرب لقتاله ، إضافة إلى ما كان أمراء القافلة ينفقونه من أموال على شيوخ القبائل

---

(١) مرتزقة : هو اسم يطلق على الشخص الحاصل على راتب يومي أو شهري أو سنوي من وقف حسب شروطه، صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص٢٠٧.

(٢) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١١.

(٣) عبد الله باشا بن إبراهيم الشهير بالجته جي الحسيني الجرمكي نسبة إلى جرمك بلدة من أعمال ديار بكر تولى ولاية دمشق عام ١١٧١ هـ/ ١٧٥٧م وحج سنتين وعزل من دمشق بسبب عزله شريف مكة الشريف مساعد بن سعيد وتولية الشريف جعفر بن سعيد مكانه، فلما قفل الحجيج من مكة عاد الشريف مساعد وأزاح أخاه عن الشرافة ووليها وعرض للدولة العلية بذلك فكان ذلك أقوى سبب في عزله وولي ديار بكر فنهض إليها فدخلها وهو متوعك المزاج إلى أن توفي بها في عام ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م . المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، ج٣ ، ص ٨١.

(٤) اللاوند : تحريف لكلمة Levento التي أطلقها البنادقة على البحارة الشرقيين المستخدمين في أسطولهم ثم أخذ العثمانيون هذه الكلمة وأطلقوها على بحارتهم الأوائل مع شي من التحريف وعندما تمرد هؤلاء سرحوا من الخدمة واستبدلوا بآخرين، لجأء المسرحون إلى مناطق منعزلة من أراضي الدولة ولحقت بهم عناصر أخرى هاربة من الخدمة وأخذت هذه المجموعة تعرض خدماتها مقابل المال فاستخدمهم الولاة والسناجق وشكل منهم الأمراء المحليون في بلاد الشام مجموعات خاصة يعتمدون عليها وكان قائد اللاوند يعرف ب" زوربه باشي اللاوندية ". الحمود، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، ص ٦٤– ٦٥.

(٥) الأرناؤوط : الألباني القومية ، حيث كان يستعمل قديما لفظ الأرناؤوط بدلا عن لفظ الألبان. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ١٤.

المتناثرة على طريق الحج ذهابا وإيابا لقاء حماية وخدمة القافلة التي عرفت بالصرة [1] إذ وصل مقدارها في عام (١١٠٦هـ/ ١٦٩٥م – ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م) (١٢٠،٠١٨ قرشا) فقد كان يحصل كل زعيم من زعماء هذه القبائل على مبلغ وقدرة (٨،٠٠٥ قرشا)[2]. كما أنفقت أيضا الكثير من الأموال على الجنود وموظفي القافلة الذين كانوا يرافقونها خلال موسم الحج [3].

ويبين الجدول التالي مقدار نفقات قافلة الحج الشامي في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي :

جدول رقم (١)نفقات قافلة الحج الشامي في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي

السنة	مقدار النفقات بالأقجة
١ محرم ١٠٦٣هـ/ ٤ كانون الأول ١٦٥١م .	٤،٠٠٠ أسدي[4] x٧٠
٢ رجب ١٠٦٣هـ– ٢ جمادى الآخر ١٠٦٤هـ/ ٣٠ آيار ١٦٥٣م – ٢٠ نيسان ١٦٥٤م.	١١،٣٧٠،٠٦٠
٢٣ ذي الحجة ١٠٧١هـ– رمضان ١٠٧٤هـ/ ٢١آب١٦٦١م – نيسان ١٦٦٣م.	١٨٠،٠٠٠
١٢ربيع الأول ١٠٧٤هـ– ذي الحجة ١٠٧٥هـ/١٥ تشرين الأول ١٦٦٣م – حزيران ١٦٦٤م.	١٨٠،٠٠٠
١محرم ١٠٧٦هـ–١٢ محرم ١٠٧٧هـ/ ١٥تموز ١٦٦٥م – ١٦ تموز ١٦٦٦م.	٩٠،٠٠٠
١٣ ذي الحجة ١٠٨١هـ– ٢٦ ذي الحجة ١٠٨٢هـ/ ١٤ نيسان ١٦٧١م – ٢٥ نيسان ١٦٧٢م	٩٠،٠٠٠
٥شوال ١٠٨٣هـ– ذي الحجة ١٠٨٤هـ/ ٢٥كانون الثاني ثاني ١٦٧٣م – آذار ١٦٧٤م.	٥،٩٤٤،٠٥٠

(١)وثيقة عثمانية بخصوص الامر بصرف ٥٠٠ سكة حسنة إلى مكة المكرمة مع الصرة الهمايونية كما هو معتاد رقم ١٧١٣١/٣٤٣، C.EVKkبتاريخ ١١٧٧/١/٢٤هـ/ ١٧٦٣/٨/٤م.

(٢) الشرعة، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ص ٣٢٦.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٢٣.

(٤)القرش الاسدي: وحدة نقد فضية من أصل هولندي، عرفت بذلك لأنها تحمل صورة الأسد على وجهيه وكان من أكثر العملات تداولا ويساوي ٤٠ بارة. عامر، المكاييل والأوزان ،ص١٩٠.

١ محرم ١٠٨٤هـ – شوال ١٠٨٥هـ/١٨ نيسان ١٦٧٣م– كانون الثاني ١٦٧٤م.	٢،٧١٩،٣٠٠
٢٣شوال ١٠٨٥هـ– رمضان ١٠٨٦هـ/ ٢٢ كانون الثاني ١٦٧٥م – تشرين الثاني ١٦٧٥م	١،٧٨٠،٧٠٠
١٠محرم ١٠٨٩هـ–٢٤ذي الحجة ١٠٨٩هـ/٣ آذار ١٦٧٨م – ٨ شباط ١٦٧٩م	٤،٣٥٥،٠٠٠
١ محرم ١٠٩٢هـ– ذي الحجة ١٠٩٢هـ/٢١ كانون الثاني ١٦٨١م –كانون الأول ١٦٨١م	٤،٥٠٠،٠٠٠
المجموع	٣٢،١٨٩،١١٠

الشرعة، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي في القرنيين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ص ٣٢٨.

نلاحظ من خلال الجدول أن الدولة العثمانية كانت تنفق مبالغ كبيرة على قافلة الحج الشامي وذلك حرصا على أمن وسلامة قافلة الحج وخاصة من القبائل البدوية القاطنة على طول طريق قافلة الحج والتي كانت تهدد أمن القافلة.

المبحث الثالث: مردود القافلة على المنطقة اقتصاديا

شكلت قافلة الحج الشامي إبان العهد العثماني عاملا رئيسيا من عوامل إزدهار المدينة ونموها من الناحية الاقتصادية وتطور بنائها الديمغرافي إذ أن تجمع أعداد كبيرة من الحجاج سنويا في محيط المدينة كان له آثار هامّة ليس فقط بما يحملونه معهم من بضائع ومنتوجات وتحول تجمعهم إلى مجرد سوق موسمي بل إن أهمية ذلك كانت تتعاظم مع استقرار عدد من الجماعات الإسلامية في الأحياء الخارجية للمدينة على امتداد الطريق المؤدي إلى جنوب دمشق[1] ويمكن التأكيد على ذلك من خلال ما يورده ابن كنان بشأن استقرار عدد كبير من الحجاج الأوزبكستانيين في دمشق عام ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م[2].

كما أن تأثير القافلة لم يكن مقصورا على الناحية السكانية فقط بل إن سير القافلة بعددها الضخم والذي يبلغ ما يقارب ١٠،٠٠٠ حاجٍ ومعهم ٣٥،٠٠٠ جمل وما تحتاجه هذه الأعداد من الطعام والشراب والخدمات عبر منازل طريق الحج الشامي قد شجع الناس على الإقامة على الدرب وجعل من المنازل أسواقا تجارية ساعدها في ذلك توفر الماء مما شجع الحجاج على الإقامة فيها يوما أو يومين وبالتالي أهمية هذا الموسم الذي كان يمنح سكان المنطقة إيرادات تكفيهم باقي أيام السنة كلِّها[3].

وتجدر الإشارة إلى أن النشاط التجاري في هذه الأسواق كان يتم دون تدخل أو حماية من الحكومة العثمانية خاصة في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي إذ تركت للسكان أمر تصريف شؤونهم وقاموا بهذا النشاط على أكمل وجه إذ كانت قلعة معان يسكنها

---

(١) ابن كنان: محمد بن عيسى، الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية ، تحقيق: أكرم العلبي، (دمشق : دار الطباع ،١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ، ص ٣٠ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٤-١١٥.

(٣) بيركهارت: يوهان، رحلات بيركهارت في سوريا الجنوبية، ترجمة: أنور عرفات، ج٢، (عمان: دار الثقافة والفنون، المطبعة الأردنية ،١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) ، ص ١٥٠ – ١٥١.

جماعة من أهل البلاد لا طائفة من العسكر كغيرها من القلاع ووجد عدد من الحرفيين مثل نحّاس وحدّاد وصانع سلاح الذين وفدوا من الخليل وكونوا أحياء تتبع معان مثل قرية الشامية (١) التي استقر فيها عشرون أسرة من سوريا وبانتشار ينابيع المياه في منازل طريق الحج الشامي زاد استقرار الأهالي على طول طريق الحج فانتشرت زراعة الفواكه التي كان يقبل عليها الحجاج مثل الرمان والخوخ والمشمش بشغف كبير، في الوقت الذي تقبل فيه حيواناتهم على الأعشاب البرية التي يجمعها الأهالي وقد اعتبر بيركهارت أن تلك الفواكه من أجود الأنواع (٢).

يضاف إلى ذلك أيضا ما كانت توفره القافلة لعدد من أبناء المدينة من فرص عمل متعددة في خدمة القافلة إذ أن هناك عددا من أبناء المدينة ممن ينتظرون موسم القافلة لمرافقتها وتقديم خدماتهم للحجاج تحت مظلة متعهدي القافلة ومن هؤلاء من يعمل في نقل البضائع وتجهيز الخيول وسقاية الحجاج وطهي الطعام وعكم الجمال وغيرها من الحرف (٣).

كما شهد طريق الحج الشامي انتعاشا اقتصاديا رغم تعرضه للكثير من عوامل الدمار وذلك بفضل الجهود التي كانت تبذلها الدولة بين حين وآخر إذ لجأت إلى عدة وسائل لإعمار المنطقة فقد قامت الدولة ببناء عدد من الخانات والمنازل على طول الطرق الرئيسية في بلاد الشام لتكون مأوىً للمسافرين والتجار ومحطات للخيل والبريد (٤) وقد راعت الدولة أن تكون

---

(١) الشامية: قرية تقع شمال شرق معان أطلق عليها معان الشامية لتميزها عن معان الحجازية وقد شملت معان الشامية عشائر القرامسة (أكبر العشائر عددا) والمحاميد من بلدة درعا السورية والخورة نسبة إلى وادي عربة الذي سمي (بالخور) وآل الحصان الذين تنقلوا من نابلس مع قوافل الحج ، أما معان الحجازية : شملت عشائر التلهوني الخطاب الحوارثة، الدباغ : مصطفى ، بلادنا فلسطين ، ج٢ ، (بيروت : دار الطليعة ،١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) ، ص ٣٤٨؛ أبو دية: سعد، معان دراسة في الموقع ، استعراض تاريخ المدينة السياسي وأثر الموقع فيه منذ عهود معين وسبأ وحتى اليوم ، (عمان ، الأردن،١٤٠٤هـ/ ايلول ١٩٨٤م) ، ص ٩٨.

(٢) بيركهارت، رحلات بيركهارت في سوريا الجنوبية، ص ١٥٠-١٥١.

(٣) انظر القاسمي والعظم ، قاموس الصناعات الشامية ، ج ٢ ، ص ٣١٩.

(٤) الحمود، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، ص ٢٠٤.

هذه المحطات والمنازل في مناطق زراعية أو بالقرب من الينابيع والمصادر المائية الأخرى وقد شجعت الدولة وجود بعض الأسر لحماية الطريق بين منطقتين محدودتين مقابل اعفائها من الضرائب، فقد كانت في قرية القسطل[1] خمس وعشرون أسرة معفاة من الضرائب الأمر الذي لفت انتباه السكان إلى عودة الحياة إلى الريف وقد شجعهم إلى ذلك وجود الطريق المفتوح أمامهم إضافة إلى أن الفلاحين كانوا بحاجة إلى نفوذ أفراد الحاميات العسكرية في القلاع [2].كما نشطت القافلة حياة البدو الاقتصادية وذلك عن طريق تأجيرهم الجمال والقيام بالمبادلات التجارية مع الحجاج والتجار في الأسواق التي كانت تقام في بعض المنازل التي تتوقف عندها قافلة الحج كقلعة المزيريب مثلا [3].

وقد عبر الشيخ البديري الحلاق عن النشاط الاقتصادي الذي عم دمشق في أعقاب وصول الحجاج الأعاجم إليها في عام ١١٦٤هـ/١٧٥٠م بقولة : " وصار جبر خواطر لعموم الناس في البيع والشراء، وجاء مع العجم ربيّات ذهب كل واحدة بثلاثة عشر قرشا ولؤلؤ كبير وصغير وأحجار ومعادن وشال وغير ذلك "[4].كما عبر المكناسي عن النشاط الاقتصادي الذي كان على طريق القافلة بقوله:" إلى أن وصلنا الزرقاء، فوجدنا بها أهل الشام بأنواع الفواكة والخضر، والطباخون يطبخون سائر المأكولات وأنواع الحلاوات..." [5].

ويمكن القول إن رخاء دمشق الاقتصادي في العهد العثماني ارتبط ارتباطا كبيرا بحركة الحج لما كان لموسم الحج من حركة تجارية ضخمة في أسواق دمشق و كان الحجاج قبل انطلاق القافلة

---

(١) القسطل: قرية في شرقي الأردن إلى الشمال الغربي من زيزياء وهي ذات أهمية تاريخية. بني يونس، قافلة الحج الشامي في شرقي الأردن، ص ١١٣.

(٢)بني يونس، قافلة الحج الشامي في شرقي الأردن، ص ١١٣.

(٣) الغنيمي، دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق المخطوط ، ص ١١٠.

(٤) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ١٦١.

(٥) المكناسي، رحلة المكناسي ، ص٢٨٣.

يتزودون من أسواقها بجميع ما يحتاجون إليه من مواد غذائية تكفيهم ثلاثة شهور على الأقل وهي فترة الذهاب إلى مكة المكرمة والإياب منها.

الفصل الخامس

العقبات والصعوبات التي تواجه قافلة الحج الشامي وأثرها في التنظيمات الإدارية والمالية للقافلة

المبحث الأول: العقبات والصعوبات الأمنية

المبحث الثاني: العقبات والصعوبات الطبيعية

المبحث الثالث: جهود الدولة في توفير الأمن على طريق الحج الشامي

المبحث الرابع: أثر هذه العقبات والصعوبات على تنظيم القافلة إداريا وماليا.

المبحث الأول: العقبات والصعوبات الأمنية

لم تكن رحلة الحاج في العهد العثماني أمرا هيناً، إنما كانت محفوفة بالعديد من المخاطر لدرجة أن الخارج فيها يعتبر مفقودا والعائد منها إلى أهله يعتبر مولودا حتى أن الشيخ البديري الحلاق وصفها بأنها قطعه من العذاب[1]، وكان الحجاج من أبناء الشام يقضون في الرحلة كلها نحو أربعة أشهر (من شوال إلى صفر) ، أما الحجاج الأتراك فيصلون إلى الأستانة حوالي ٢٥ ربيع الثاني بعد غيبة تستمر ثمانية أشهر. كما أن مدونات تلك الأيام تفيض بما كان يلقاه الحجاج في كثير من الأحيان من أخطار الطريق سواء الأمنية مثل تعرض بعض القبائل البدوية للقافلة أو الطبيعية كالبرد القارس أو السيل الجارف[2].

فعلى الرغم من اهتمام الدولة العثمانية بقوافل الحج وطرقها وحرصها على إخضاع القبائل البدوية، ولاسيما أولئك القائمين على طول طرق المواصلات الرئيسية إلى بلاد الشام والديار المقدسة في الحجاز إذ أن مهاجمتهم لقافلة الحج كانت تهز سمعه الدولة وتثير الأهالي ولاسيما أن قبائل هؤلاء الأعراب كانت تسئ أحيانا إساءات بالغه للحجاج من سلبهم ونهبهم وقتلهم أمرائهم. فقد هاجمت قبيلة المفارجة[3] قافلة الحج عام ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م في عهد أميرها الوالي سليمان باشا الذي منع عنهم الصرة فأرادوا الانتقام منه عن طريق نهب القافلة. وقد وصف لنا الخياري المدني ذلك بقوله: انه نتيجة للخوف من هؤلاء البدو " برك الحاج بعد الشدايد بعضه على بعض خوفا منهم واختفى الأمير بين الجمال بعد أن أسمعوه السبّ البليغ والإهانة التامة " ولكن أمير القافلة سليمان باشا استطاع تجاوز وقوع أي صدام مع المفارجة إذ

---

(١) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٥٤ ؛ درادكه ، طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية ، ص ٢٤٧.

(٢) الحلاق، المصدر نفسه ، ص ٥٤.

(٣) المفارجة : بطن من بني لام من طوائفهم ال سليم وال قني وال صقر وال قيبين . الجزيري ، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، ج١ ،ص ٥١٤.

أعطاهم مائة ألف دينار من الذهب الأحمر[1] لكنهم رفضوا هذا المبلغ وطلبوا ثلاثة وثلاثين ألفا من القروش الأسدية فتم جمع هذا المبلغ من الحجاج وأعطي لهؤلاء البدو [2].

كما لجأت بعض القبائل البدوية عند منع الأمراء دفع المخصصات المالية لهم إلى أساليب أخرى كقطع الماء عن الحجاج بمنعهم من الوصول إلى مصادره كما حدث مع قافلة الحج في منزلة عنيزة عام ١٠٧٩هـ/ ١٦٦٩م حين قطع البدو الماء عن بركة عنيزة [3].

وتكرر الأسلوب نفسه في عام ١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م عندما هاجم أمير بلاد حوران الشيخ حمد بن رشيد ومعه بعض القبائل البدوية القافلة التي كان يقودها الأمير موسى بن محمد وكان حين ذلك قائم مقام عجلون حيث وقع الهجوم في منزلة مدائن صالح إذ نهبة جماعة ابن رشيد أكثر الحجاج وسدّوا عليهم الآبار ولم ينقذهم من العطش وخطر هؤلاء البدو سوى هطول الأمطار المفاجئ حين ذاك [4].

وذكر المحبي أن هجوم الشيخ حمد بن رشيد وقع في المكان المعروف بالصافي لما كانت القافلة عائدة من الأماكن المقدسة فنهب البدو أشياء كثيرة من مجلوبات مكة وقتلوا بعض الحجاج[5] رغم أن أميرها موسى بن محمد الشهير بـ(ابن تركمان) لديه صداقات مع شيوخ القبائل البدوية في المنطقة وبالذات مع حمد بن رشيد إذ كانت تربط الطرفين عهود وعلاقات حسنة وبعد أن وقع الاعتداء السابق على القافلة طلب ابن تركمان من الحكومة العثمانية أن تأذن له بمحاربة ابن رشيد فجمع قوات كثيرة العدد من القدس ونابلس وعجلون وتقابل الطرفان

---

(١) الذهب الأحمر: المقصود به النحاس.

(٢) الخياري المدني، تحفه الأدباء وسلوة الغرباء، ج١، ص ٨٢.

(٣) اختلف الناقلون في ماء البركة فقيل من الأمطار وقيل كان من العيون والأنهار. الخياري المدني، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء ، ص ٨٣.

(٤) ابن كنان، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، ص ٦٦؛ حلمي، المحمل رحلات شعبية في وجدان أمة، ص ٢٧.

(٥) المحبي ، خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر، ج٤ ، ص ٤٣٤.

بالقرب من الزرقاء، ووقع بينهما قتال وكان ابن تركمان يحث قواته على مقاتلة جماعة ابن رشيد ورغم وقوع قتلى بين البدو إلا أن احدهم طعن الأمير موسى بن محمد برمح فقتله وقتلوا بعض الأشخاص ممن كانوا معه وهرب الباقون وإخوته وبنوه وبعض جماعته [١].

واستمر الأمير ابن رشيد في مهاجمة القافلة لسنوات عده بعد اعتداء عام ١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م، فولت الدولة العثمانية خليل بن عثمان المعروف (بابن كيوان) أميرا للقافلة عام ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م وخلال عهده قدمت جميع القبائل البدوية القاطنة بالقرب من طريق الحج الطاعة له واستمرت قيادته للقافلة مدة ثلاث سنوات والحجاج في أيامه مطمئنون في بلهنية من العيش والرخاء والراحة [٢]. كما أصدرت الدولة العثمانية في سنه ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٨م أمرا سلطانيا للشريف بركات بن حمد بأن يخرج مع قافلة الحج الشامي إلى أن يتعدى بها على العرب القاطعين لطريقها[٣] وبقيت الحكومة العثمانية مصممة على قتل ابن رشيد والانتقام من جماعته بسبب اعتدائهم على القافلة لكنها لم تستطع القضاء عليه حتى مات في بغداد عام ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م [٤].

كما تعرضت قافلة الحج الشامي للنهب في موسم حج ١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م وكان أمير الركب الشريف يحيى بن بركات [٥].

وفي عام ١١١٠هـ/١٦٩٨-١٦٩٩م اعتدى البدو على قافلة الجردة بعد خروجها من دمشق لملاقاة الحجاج بعد فروغهم من أداء فريضة الحج وكان أمير الجردة محمد آغا الذي خرج

---

(١) المحبي، خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر، ج٤، ص ٤٣٤ ؛ المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ج٢ ، ص ٦٣.

(٢) الشرعة، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ص ٣٢٥.

(٣) الحنفي: عبد الله الغازي المكي، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، م ٣ (مكة المكرمة : مكتبة الأسدي ،١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) ، ص ٤٣٩- ٤٤٠.

(٤) المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ج٢ ، ص ٦٤.

(٥) دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام ، ص ١١٩.

معه باشاوات عجلون كابن القواس، وإبراهيم آغا لطرد البدو الذين سيطروا على بعض منازل الحج كالقطرانة في عام ١١٠٩هـ/ ١٦٩٧- ١٦٩٨م إذ قتل البدو كل من كان فيها من جنود وموظفين وأقاموا على الماء في منطقة الحسا التي كان يطلق عليها بالعثمانية تابوت قره صو أي(تابوت الماء الأسود) لأن شكل وادي الحسا كهيئة التابوت[١]. فقررت السلطات العثمانية في دمشق في ٨ محرم ١١١١هـ/ ٧ تموز ١٦٩٩م الخروج لملاقاة القافلة بعد عودتها من الأماكن المقدسة خوفا على الحجاج من اعتداءات القبائل البدوية إذ هاجمت هذه القبائل القافلة أثناء عودتها في عام ١١١٠هـ/١٦٩٨-١٦٩٩م ونهبت قافلة الجردة كلها وقتلت أميرها محمد آغا افندي وبعض الذين كانوا برفقته، كما غنمت هذه القبائل أشياء كثيرة من قافلة الجردة[٢].

ويرجع السبب في اعتداءات تلك القبائل البدوية على القافلة إلى تعدد أمراء القافلة مما أدى إلى عدم استقرار علاقاتهم مع القبائل التي كانت تتحيّن الفرص لمهاجمة القافلة بالإضافة إلى امتناع أمراء القافلة عن دفع الصرة المخصصة لشيوخ هذه القبائل حيث طمع الكثير من أمراء القافلة بالصرة[٣]. كما أن القافلة وما تحويه من بضائع وأموال لدى الحجاج كانت مغرية بالنسبة للقبائل البدوية لاسيما أن كثيرا من التجار كانوا يرافقون القافلة بقصد التجارة والكسب إلى جانب قيامهم بفريضة الحج كما أن التنافس بين القبائل البدوية خاصة التي تتلقى الصرة والتي كانت محرومة منها جعل الأخيرة تنتقم من الحكومة العثمانية بالإغارة على القافلة [٤].

وفي عام ١١١٢هـ/١٧٠٠م قامت كلٌّ من قبيلتي عنزة وبني صخر بنهب قافلة الحج الشامي وسلب الحجاج لذلك أرسلت الحكومة العثمانية في أيلول من العام نفسه رسالة

(١) الشرعة، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ص٣٢٦.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) ابن كنان، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، ص ٦٤.

(٤)المصدر نفسه.

توبيخية إلى أمير مكة المكرمة الشريف سعد بن زيد[1] الذي لم يستطع حماية الحجاج من بني صخر و عنزة إذ لم يخرج لاستقبالهم كالمعتاد عند مدائن صالح[2] وعلى إثر ذلك طلبت الحكومة العثمانية من الشريف سعد أن ينتقم من قبيلتي بني صخر وعنزة اللتين قامتا بنهب القافلة[3] وفي السنة التالية في شهر صفر عام ١١١٢هـ/١٧٠١م واجه الحجاج عند وصولهم إلى العلا حوالي ٥٠،٠٠٠ من البدو المتمردين وحدثت معركة استمرت عشرة أيام قتل فيها عدد كبير من الحجاج وأسر القسم الأخر[4] وقد أخذ البدو المحارب وحريم الناس وصيوان الباشا وحريمه ولكن أمير القافلة جركس حسن باشا أعاد الصيوان والنساء مقابل دفع بعض الأموال لهؤلاء البدو، كما استولى البدو أيضا على أموال التجار المرافقين للقافلة إضافة إلى الجمال والأحمال والأموال الأخرى ووصل الحجاج إلى العلا بعد هذا الهجوم وكان البدو مصممين على القضاء على ما تبقى من الحجاج لكن نزول المطر ساهم في إنقاذهم وحدّ من مواصلة الاعتداء عليهم[5] وكان سبب هذا الهجوم وهذه الفاجعة هو أن أمير الحاج في تلك السنة جركس حسن باشا شخص

(١) الشريف سعد بن زيد:يلقب بالشريف الأفضل تولى شرافة مكة في عام ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م . ثم عُين أخوه الشريف أحمد بن زيد في عام ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م أميرا على مكة المكرمة بالاشتراك معه (مع الشريف سعد) اتصف الشريف سعد بالنشاط والحيوية والجرأة وكانت جميع الأمور بيده ولم يكن أخوه أحمد إلا أميرا بالاسم فقط، عزل عن الشرافة في عام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٤م . جارشلي، أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، ص ١١٥-١١٦-١١٨.

(٢) جاء في الرسالة " أن من شروط إمارة أمير مكة المكرمة ضمان الأمن والنظام في مكة المكرمة وأطرافها وضمان ذهاب وإياب الحجاج والزوار والتجار وأن استقبال الحجاج في مدائن صالح وإيصالهم إلى مكة المكرمة آمنين سالمين ثم إعادتهم بسلام بعد تأديتهم مناسك الحج إلى مدائن صالح وتسليمهم إلى الشام وحمايتهم من البدو الأشقياء مسطر في منشور إمارتكم ومذكور في شروط حكومتكم . إنّ الخسارة التي أصابت حجاج المسلمين من البدو الأشقياء في المناطق الخاضعة لحمايتكم لم تحدث في أي وقت ولم يلاحظ مثل هذا الأمر في إمارة أي من أسلافكم ". جارشلي، أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، ص ٨٣.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) الشرعة، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ص٣٢٨-٣٢٩.

مغرور وذو طباع جنونية وقد حدث وان طلب شيوخ البدو الصرة إلا انه لمح بسيفه مستخفا بهم فأصبح بذلك سببا لهذا الهجوم وهذه الفاجعة (١).

وفي ١٠ محرم من عام ١١١٦هـ/ ١٦ آيار ١٧٠٤م خرجت قافلة الجردة برئاسة أميرها إسلام باشا ومعه الأمير ابن القواس وشيخ عربان الشام الأمير كليب وكان هدف هؤلاء الوصول إلى منطقة العلا لحماية الحجاج من القبائل البدوية الذين وردت أخبار عنهم تفيد بأنهم في حيرة فكان إرسال الجردة للتخفيف عنهم وتأمين عودتهم إلى دمشق (٢) ، وكلفت الدولة والي دمشق الجديد حسين باشا الأشقر بمهمة إنقاذ القافلة فخرج في ١٠ محرم ١١١٧هـ/ ٥ أيار ١٧٠٥م مع الجردة وكان هدفه الوصول إلى منطقة بيار الغنم قبل العلا لتأديب شيخ عربان الشام الأمير كليب وقد جمع حسين باشا الأشقر بعد وصوله المزيريب العسكر وبعض زعماء المنطقة لمقاتلة كليب الذي تنبه لتحركات الأشقر فجمع أعدادا كبيرة من القبائل البدوية خلال مدة قصيرة لم تتجاوز الشهر حتى أن عددهم وصل ما يقارب عشرين ألفا بالإضافة إلى أرباب الدروع مع سبعمائة فارس واستعد الجانبان الوالي حسين الأشقر والشيخ كليب للقتال وقد بدأ بجمع المقاتلين والعسكر في شوال ١١١٧هـ/ كانون الثاني ١٧٠٦م وكان الوالي حسين الأشقر مصمما على القبض على كليب ووضعه في قفص وتسليمه للسلطات العثمانية لكن الحكومة العثمانية طلبت منه مصالحة كليب وإعطاءه مالا وجمالا إلا أنه لم ينفذ هذا الأمر وحاول كليب من طرفه إنهاء الخلاف فأرسل عرضا إلى المسؤولين في دمشق بهذا الخصوص لكنه فشل وبالمقابل فشلت خطة الأشقر المتضمنة محاصرة كليب والقضاء عليه إذ خرج على القوات العثمانية واستطاع بقواته قتل الوالي حسين الأشقر ومن معه إذ كان عدد قواته عشرة ألاف

---

(١) جارشلي ، أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، ص ٨٣– ٨٤.

(٢) الشرعة، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ص ٣٣٠.

تقريبا رجع قسم منهم إلى دمشق وهم حفاة عراه حتى أن الأحمال التي كانت بحوزتهم لم يبق منها شيء بسبب نهب البدو لها [1].

وتكررت هذه الصورة في العام نفسه ففي شهر شوال عام ١١١٧هـ/ كانون الثاني ١٧٠٦م خرجت القافلة تحت إمرة عبد الرحمن باشا وعندما وصل الحجاج إلى العلا هجم البدو عليهم وأخذوا صرتهم وصرة الشيخ كليب (شيخ عربان الشام) حيث أوصلوها له وعندما عاد الحجاج من الأماكن المقدسة بعثت الدولة قافلة الجردة لاستقبالهم فنهبها البدو وكان ذلك في بداية عام ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م [2].

وعندما تولى سليمان باشا إمارة الحج في عام ١١١٨هـ/١٧٠٦- ١٧٠٧م وردت عدة أخبار عن الحجاج والبدو القاطنين في طريق القافلة أفادت بأن سليمان باشا قابل الشيخ كليب عدة مرات وقام على ضيافته ومن معه فالتزم البدو وكفوا عن مهاجمة القافلة والقوا السلاح ونادوا بالأمان والاطمئنان، لذلك أرسل سليمان باشا تقريرا أوضح فيه حسن تصرف الشيخ كليب ومعاملته له كما بين في تقريره أن كليب لا يستطيع تزويد القافلة بالجمال ولا يستطيع دفع البدو الجلابة " التي تحمل حمولة الحجاج " عن مهاجمة القافلة[3]. وهنا يظهر حسن تصرف والي دمشق سليمان باشا الذي حاول استرضاء الشيخ كليب بهدف إبعاد خطره عن القافلة وتجنب تكرار ما حدث مع من سبقه من ولاة دمشق والتزم بعض ولاة دمشق اللاحقين بأمر المحافظة على القافلة وتأديب القبائل البدوية التي تحاول التعرض لها فعندما تولى والي دمشق نصوح باشا بن عثمان إمارة القافلة وحج بها في عام ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨-١٧٠٩م حاولت بعض القبائل البدوية نهبها عند منزلة الجديدة لكن نصوح باشا انتصر عليهم وأبعد خطرهم عن الحجاج وبعد عودة القافلة وعند وصولها المزيريب التقى نصوح باشا بالشيخ كليب فاستغل

(١)الشرعة، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ص ٣٣٠.

(٢)المرجع نفسه .

(٣)المرجع نفسه، ص ٣٣١.

نصوح قدومه وقتله وأرسل رأسه إلى إستانبول في بداية شهر صفر عام ١١٢١هـ/ نيسان ١٧٠٩م كما قبض على بعض البدو من جماعته وهرب قسم منهم (١).

وفي عام ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م ساد الهدوء النسبي في طريق الحج بعد تولي نصوح باشا إمارة القافلة وقد حج ست مرات أدب خلالها القبائل البدوية التي كانت تشكل خطراً على الحجاج كما حارب بعض البدو الذين تحصنوا في الكرك ودخل البلقاء وأخضع القبائل التي كانت تسبب إزعاجا للدولة. لكن البدو في بعض الأحيان كانوا يتحينون الفرص للاعتداء على القافلة ونهبها كما حدث في عام ١١٢٢هـ/ ١٧١٠م عندما اعتدوا على القافلة في منزلة الجديدة بعد عودتها من الديار المقدسة برئاسة نصوح باشا إذ قتل الكثير من الحجاج نتيجة هذا الاعتداء (٢) وفي نفس العام وردت الأخبار لأمير الحج الشامي نصوح باشا باجتماع عربان حرب في جبال الخيف(٣) فأرسل فرقة استطلاع من عسكره فالتقوا بالقوم فدار القتال بينهم وقتل أغلب العسكر ثم دفع لأمير حرب مبالغ مالية مقابل عدم الاعتداء على الحجاج فأخذها ووزعها على أتباعه بعد أن تعاهد معهم على كف القتال ومع ذلك نكثوا بعهدهم ولحقوا بالحجاج الذين تخلفوا وأخذوهم عن اخرهم (٤).

---

(١)الشرعة، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ص ٣٣١.

(٢) ابن كنان، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية ، ص ٦٧.

(٣) الخيف: هو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ولعل المقصود هنا ما أورده البلادي عن الخيف بأنها قرية بوادي الصفراء عند المضيق من الغرب كانت لها عين جارية ثم اندثرت في منتصف القرن الرابع عشر الهجري وتسمى خيف الخزامى وخيف بني سالم من بطن حرب وهم سكانه وخيف البرعي . وغزا الشريف عبد المطلب بن غالب الخيف عام ١٢٦٨هـ / ١٨٥١م فاحتلها وقتل بعض أهلها وبنى بها قلعة وجعل فيها قوة لضبط البلد، وتبعد الخيف ١٠٥كم عن المدينة في طريق بدر. البلادي : عاتق بن غيث ، معجم معالم الحجاز ، ج٣ ، (الطائف : مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م) ، ص ١٨٠- ١٨١.

(٤) دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء بلد الله الحرام، ص ١٦٣.

وفي عام ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م أقامت قافلة الحج الشامي في طريق العودة إلى الشام في العلا عشرين يوما خوفا من البدو ومع ذلك نهب البدو قافلة الجردة المعدة لملاقاة الحجاج في منزلة الدار الحمراء حتى دخلوا العلا عرايا مكشوفي الرأس وأدى مكث الحجاج لهذه المدة إلى شدة غلاء الأسعار مما دفعهم إلى أكل الدواب[١].

وكثرت محاولات البدو في هذه الفترة فاعتدوا على قافلة الجردة ونهبوها في عام ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠-١٧٢١م عند العلا وهاجموا القافلة في عام ١١٣٦هـ/ ١٧٢٣- ١٧٢٤م عند منطقة بير الشهداء في عهد الوالي عثمان باشا حيث وقع قتال بين الطرفين ولكن عثمان باشا انتصر عليهم واستطاع إنقاذ الحجاج [٢].أما قافلة الجردة فقد تعرضت إلى الاعتداء من قبل بعض البدو بالقرب من الحسا في العام نفسه لكن أميرها إسماعيل باشا هزم البدو وخلصها من خطرهم [٣].

وساد الهدوء طريق الحج في الربع الثاني من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ،لكن مع بداية الربع الثالث بدأت تتصاعد هجمات بعض القبائل ضد القافلة ففي عام ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢- ١٧٥٣م وقع هجوم من قبل بعض البدو على الرغم من تغيير طريق القافلة إلى الطريق الغزاوي وقد أشار لذلك الشيخ البديري الحلاق وقال إنّ مقتلة جسيمة قد وقعت ضد الحجاج بسبب علاقة والي دمشق السيئة مع البدو في هذه الفترة [٤].

ووقع اعتداء ضد القافلة في عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م والعام الذي يليه إذ هجم بنو صخر على الجردة في ٢٠ من ذي الحجة ١١٧٠هـ/ ٥أيلول ١٧٥٧م في عهد والي دمشق أمير

---

(١) المقار: محمد بن جمعة، الباشوات والقضاة في دمشق، (دمشق ، د.ن ،١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م) ، ص ٥٨- ٥٩.

(٢) ابن كنان، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، ص ٦٧- ٦٨.

(٣) الشرعة، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ص ٣٣١.

(٤) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ١٨٦-١٨٧.

القافلة حسين باشا مكي (١١٧٠هـ/ ١٧٥٧م)[1] إذ خرج معه في هذا العام خلق كثير من الناس لتأدية فريضة الحج وأرسلت له قافلة الجردة تحت إمارة موسى باشا المعراوي[2] فلما وصل موسى بالقرب من منزلة الحسا بين القطرانة ومعان تجمع البدو وهجموا على الجردة ونهبوها وقتلوا الكثير من أفرادها [3].

ووقع هجوم آخر ضد القافلة في حوالي ١٠ صفر ١١٧١هـ/ ٢٤ تشرين الأول ١٧٥٧م في المنطقة الواقعة بين تبوك وذات الحج من عرب بني صخر وحلفائهم، وقبل الهجوم تم محاصرة القافلة في تبوك ما يقارب اثنين وعشرين يوما [4] عانى الحجاج خلال ذلك من الجوع كثيرا وقد ذكر بعضهم أن عدد القبائل البدوية التي حاصرت القافلة في تبوك وصلت إلى ٣٥ قبيلة يزيد عددها عن ألفي فارس وبعد عدة اصطدامات بين الطرفين هرب أمير القافلة حسين باشا بن مكي إلى قلعة ذات حج وبقى بنو صخر يتابعون القافلة بسبب رفض أميرها دفع الأموال لهم وقد حاول بنو صخر منع الحجاج من الوصول إلى ذات حج ومعان فقاتلوهم وسلبوهم كل ما لديهم من بضائع وملابس وأموال" فصاروا عراة بالعراء وسقوهم بسقيا الأسنة

(١) حسين باشا مكي: هو حسين باشا بن محمد بن محمد مكي بن فخر الدين ، نشأ في غزه وعندما انتقل والده إلى دمشق بقي في المدينة وصار حاكما عليها عام ١١٥٥هـ/ ١٧٤٣م ، كان عادلا يوقر العلماء والأشراف حسن الرئاسة غير أنه كان بطئ الحركة عن شهامة الوزارة فبسبب ذلك حصل من اليرليه التطاول في زمنه وحصلت الفتن التي لم تعهد من قديم الزمان وظهر الغلاء والقحط. انظر المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ج٢ ، ص٦١.

(٢) موسى باشا : من حلب وقيل من معرة النعمان بجوار حلب لذلك أُطلق عليه المعراوي ، وقد كان متسلما لدمشق لعدة سنوات وعين واليا على صيدا عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٧م. الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٢٠٤.

(٣) المنجد، ولاة دمشق في العهد العثماني، ص ٧٩-٨٠.

(٤) صافي خالد، حسين باشا مكي، مجلة الجامعة الإسلامية ، المجلد ١٣، (العدد ٢ ،السنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م) ص ٤٧.

والظبا وانتزعوا الأرواح من الأجساد وفرقوا بين الأمهات والأولاد وأذهلوا الرجل عن أخيه وأمه وأبيه" (١).

حيث وصف المؤرخ ميخائيل بريك الدمشقي هذه الحادثة بقوله " إن بني صخر نهبوا الحج جميعه وأخذوا المحمل وهرب الباشا برأسه وعاد إلى قلعة تبوك مع ثلاثة أشخاص فقط وراح هذا العالم والغنائم جميعها نهبا بين العرب في صفر سنة ١١٧١هـ ومات وقتل عدد لا يحصى وهفي جميعه وما وصل إلى دمشق إلا القليل"(٢).

وقد اعتبر هذا الهجوم من أكبر حوادث قطع الطريق التي تعرضت لها قافلة الحج الشامي وكان هجوما شديدا أبيدت تقريبا فيه معظم القافلة ولم يحدث مثل هذا الهجوم من قبل في المنطقة خلال الحكم العثماني سواء ضد القافلة أو الجردة (٣).

وقد وصف الشيخ البديري الحلاق هذه الحادثة وصفا مؤثرا إذ قال: " إن العرب بدأوا بقافلة الجردة عندما وصلت إلى القطرانة حيث يضيق الطريق بين الحسا والقطرانة فيسمى البوغاز(النفق الضيق) فهاجموا الجردة ونهبوها ونهبوا سردارها حتى شلحوه لباسه وخاتمه من اصبعه وأنزلوه من تخته وركبوا مكانه في التخت وأخذوا طبوله وأطواخه ومدافعه. وثنى العرب بقافلة الحج فأمعنوا فيها قتلا وسلبا حتى أنهم ارتكبوا أفعالا لا يفعلها عباد النيران، فقد كانوا يشلحون الرجل ويفتشون تحت إبطه ودبره وفمه وإن وجدوا الرجل كبيرا بطنه شقوا بطنه،

(١) البرزنجي : جعفر حسن بن عبد الكريم، مخطوط النفح الفرجي في الفتح الجتة جي، رقم السجل (٢٨٦٢) ، محفوظه بدارة الملك عبد العزيز ، ص ١٣.

(٢) الدمشقي: ميخائيل بريك ، تاريخ حوادث الشام ولبنان ١١٩٢-١٢٥٧هـ/١٧٨٢-١٨٤١م ، تحقيق : أحمد غسان سبانو، ط٢ (دمشق : دار قتيبة ،١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ، ص ٥٨.

(٣) رافق، بلاد الشام ومصر، ص ٣٤٣.

ويدخلون أيديهم في دبر الرجال وفي فروج النساء وقد كانت المرأة تضع الطين على قبلها ودبرها سترا لعورتها فيكشفونه" [١].

ويرجع السبب في اعتداءات تلك القبائل البدوية على القافلة إلى امتناع أمراء القافلة عن دفع الصرة المخصصة لشيوخ هذه القبائل، كما أن القافلة وما تحتويه من بضائع وأموال لدى الحجاج كانت مغرية بالنسبة للقبائل البدوية .

(١) الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٢٠٤ – ٢٠٨.

المبحث الثاني: العقبات والصعوبات الطبيعية

وتتمثل في الصعوبات التي لا دخل للإنسان فيها مثل الحر والبرد والصواعق والسيول والزلازل والأوبئة وعقبات الطريق وما يصاحب ذلك من جوع وعطش.

حيث عانى الحجاج الشدائد المخيفة بسبب الأنواء الطبيعية من الحر اللافح والبرد القارس والريح العاتية والسيول الجارفة ففي عام ١٠٨١هـ/ ١٦٧١م تعرضت قافلة الحج الشامي لعاصفة ممطرة في قلعة مزيريب حيث تحولت الصحراء بسرعة إلى بحر من الوحول وأصبح من العسير على الجمال السير فيها وأغرقت السيول الخيام وتساقط الثلج والبرد ومات من جراء ذلك ٢٠٠ جمل ومزقت الخيول مرابطها وهربت لتحتمي في القرى المجاورة وتوفي ثمانون من الحجاج [١] .

كما حدث في العام نفسه أن تعرضت قافلة الحج الشامي عند منزل البلقاء لأزمة غذائية اضطر فيها قائد القافلة لطبخ قدور من الحساء وتوزيعها على الحجاج ومما زاد الأمر سوءا هبوب عاصفة هوجاء اقتلعت الخيام بأوتادها وبعثرت المؤن والأحمال وارتفعت أيدي الحجاج بالدعاء وهدأت العاصفة، لكن البرد اشتد وتجمد ١١ حاجا وأكثر من ٢٠٠ جمل وفرس وبغل كما تجمدت المياه في القرب وغطى الثلج وجه الصحراء[٢].

وفي شهر ذي القعدة من عام ١١١٣هـ/ ١٧٠١م حاصر الحجاج ثلج كثير استمر لعشرة أيام حيث كاد الحجاج أن يهلكوا من شدة الثلج وكثرته حيث صار على الخيام قامات وراح جمال وخيام في طريق المزيريب [٣].

---

(١) محمود: أحمد محمد، رحلات الحج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، ج١، (جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع،١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م) ، ص ١٤٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٥٠.

(٣) ابن كنان، الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية ، ص ١٤.

وفي أوائل شهر صفر من عام ١١٥٦هـ/١٧٤٣م غرقت قافلة الحج الشامي بسيل في الحسا وذهب فيه ما قيل مقدار نصف الحاج من خيل وجمال وبغال ونساء ورجال وأموال وأحمال وغرق لأحد التجار سبعة عشر جملا وبلغ من خطورة الموقف أن الحجاج استغاثوا بأمير الحج سليمان باشا العظم وعرضوا عليه أن يهبوه أموالهم ولا يتركوها للعرب ولكن الباشا أبت عليه همته إلا أن يخاطر هو وجماعته حتى رد لهم أحمالهم[١] ثم مضى الحجاج في طريقهم إلى دمشق فإذا بسيل آخر يفاجئهم في البلقاء حتى كاد أن يهلك بقية الحجاج إلا أن الباشا أرسل رسولا إلى دمشق يطلب النجدة من أهلها فشق شوارعها ينادي " يا أمة محمد من كان يحب الله ورسوله وتمكن من الخروج فليخرج ومعه ما يقدر عليه من مأكل ومشرب وملبس فليخرج ليلاقي الحجاج "فخرج الخلق مثل الجراد"[٢].

وفي عام ١١٦٤هـ / ١٧٥٠م فاجأ الحجاج سيل في عسفان أوقفهم أياما فأمرهم الباشا بأن يجدوا في المسير حتى ترك من العشرة اثنين [٣]. وفي عام ١١٦٩هـ/ ١٧٥٥م اضطر أمير الحاج أسعد باشا إلى تغيير الطريق السلطاني حيث تتوفر الابار والمياه إلى طريق آخر ليتجنب اعتداءات القبائل البدوية فلم يجد الحجاج ماء فأصابهم العطش حتى مات منهم في اليوم الواحد ألف وخمسمائة حاج [٤].كما ذكر الشيخ البديري الحلاق أن قافلة الحج الشامي تعرضت في عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م في منزل الصنمين لتساقط أمطار كأفواه القرب مما أثر على الحجاج وأدى إلى تأخر القافلة عن موعدها نحو أسبوع [٥].

---

(١)الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ص ٥٤- ٥٥.

(٢)المصدر نفسه ، ص ٣٧.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٨٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٩١- ١٩٢.

وفي عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٧م تعرض الحجاج في محطة آبار الغنم إلى حر شديد أدى إلى وفاة ألف وستمائة حاج في يوم واحد ماعدا الّذين ماتوا شيئا فشيئا [1].

(١)الحلاق، حوادث دمشق اليومية، ، ص ١٩٢.

المبحث الثالث: جهود الدولة في توفير الأمن على طريق الحج الشامي

تنبهت الدولة العثمانية منذ بداية القرن السابع عشر إلى أهمية سلامة قافلة الحج ومدى خطورة اعتداءات القبائل البدوية على الحجاج لذلك تم تعيين أمراء أقوياء لقيادة القافلة وأبرز من اشتهر في تسلُّم هذا المنصب الأمير محمد بن فروخ(١) الذي تولى إمارة القافلة بين عامي ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م – ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م ، إذ عمل على تأمين سلامة القافلة فأرهب القبائل البدوية وبلغت رهبته في قلوب العربان حدا جعلهم إذا أرادوا أن يخيفوا أحدا منهم يقولوا: ها ابن فروخ أقبل فتتلوى قوائمه(٢).

ونتيجة لهذا الإجراء المتمثل بتعيين أمراء أقوياء لتولي إمارة الحج أثر كبير في الحد من تجاوزات البدو واعتداءاتهم على القافلة إذ لم يسجل أي حادث أو اعتداء خلال النصف الأول من القرن السابع عشر(٣).

ولتوفير الأمن على طريق الحج الشامي اتبعت الدولة العثمانية أسلوبا جديدا لمهادنه القبائل البدوية واسترضائها حيث عينت أحد شيوخ قبائل الشام زعيما لهذه القبائل وأطلقت عليه اسم (شيخ عربان الشام) ليكون صلة وصل بين السلطات العثمانية والقبائل البدوية في المنطقة ولضمان جانب الأمن من جهة هذه القبائل تجاه القافلة وحتى تضمن الدولة نقل الحجاج بسلام إلى الأماكن المقدسة (٤).

كما أعدت الدولة قوائم بأسماء هذه القبائل وحددت أماكن انتشارها وأيضا قامت بدفع بعض الأموال للقبائل القائمة على طريق الحج الشامي وهو ما يسمي (بالصرة) والهدف

---

(١)الأمير محمد بن فروخ: هو الأمير محمد بن فروخ النابلسي، اشتهر بشجاعته وكرمه تولى إمارة الحج عام ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م، أرهب العربان وكبر صيته واشتهر خبره وبقي في الإمارة مدة ثماني عشرة سنة وشهرته تتضاعف وأخباره تتزايد، توفي في نابلس عام ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م .المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج ٤ ، ص ١٠٨– ١١٠.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٨.

(٣) الشرعة، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ص ٣٢٤.

(٤) ابن كنان ، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية ، ص ٦٤.

منها تأمين سلامة قافلة الحج وضمان عدم هجومها عليها ومساعدتها لها في معرفة الطريق، وفي الوقت نفسه تنتفع تلك القبائل ماديا بتقديمها الجمال لنقل الحجاج مقابل أموال تأخذها[١]. فمنذ عام ١١١٠هـ/ ١٦٩٩م بدأت الدولة العثمانية بتوطيد علاقاتها مع بعض القبائل البدوية الكبرى التي كانت تقطن بالقرب من طريق الحج وأكبر هذه القبائل كانت قبيلة عنزة التي أخذت تزود الحجاج بالجمال منذ نهاية القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي كما أسند إليها مهمة حماية الحجاج وحفظ الأمن خلال مسير القافلة مقابل دفع الصرة لشيوخها[٢].

كما عملت الدولة على تقوية علاقتها مع قبيلة بني صخر أيضا حيث استفادت الدولة من خدمات هذه القبيلة التي بدأت تقدمها للقافلة ابتداء من عام ١١١٠هـ/ ١٦٩٩م مقابل مبلغ ثابت من النقود، ففي العام نفسه قامت قبيلتا بني صخر وعنزة بنقل الحجاج حيث قدمتا الجمال لمساعدتهم خلال موسم الحج ويظهر أن الدولة استفادت من العلاقة الحسنة التي تربط كلا من بني صخر وعنزة في هذه الفترة وبالتالي التنسيق لنقل الحجاج وحماية القافلة[٣].

كما قامت الدولة العثمانية أيضا ببناء القلاع على امتداد طريق قافلة الحج الشامي ووضعت فيها حاميات الإنكشارية لمراقبة تلك الطرق وحراستها وإرهاب القبائل البدوية وكبح جماحها[٤]وأبرز هذه القلاع قلعة القطرانة التي ذكرها النابلسي عام ١١٠٤هـ/ ١٦٩٣م بأن فيها طائفة عسكر الشام لحراستها وحماية ماء بركتها التي كان الحجاج يشربون منها أثناء مرورهم

(١)ابن كنان ، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية ، ص ٦٤.

(٢)الشرعة، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ص ٣٢٦.

(٣) Rafeq, The Province of Damascus,p71.

(٤)ابن كنان، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية ، ص ٦٤.

بالمنطقة [١] وقد اهتمت الدولة اهتماما كبيرا بالقلاع الموجودة على طريق الحج كاهتمامها بقلعة الأخضر التي كانت عليها حراسة مشددة لحماية بركتها من البدو وقلعة المعظم أيضا[٢]ومنحت ترقيات للجنود الذين يبدون تميزا في محاربتهم[٣].

وفي عام ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠-١٧٦١م قام الوالي عثمان باشا بعدة أعمال لتوفير الأمن على طريق الحج الشامي حيث بلغ مجموع انجازاته ١٩ ما بين عمارة قلاع الحج وتعزيل الصخر وقطعه إذ أزاح العقبات التي كانت تعترض طريق الحجاج وانفق أموالا كثيرة في سبيل ذلك حيث استتب الأمن في المنطقة التي تمر من خلالها القافلة في عهده[٤]. كما اهتمت الدولة العثمانية بالبرك الموجودة على طريق الحج لتأمين سلامة الحجاج وذلك عن طريق تأمين مصادر مائية ثابتة لسقاية الحجاج خلال موسم الحج.

وفي النصف الأول من القرن الثامن عشر قامت الدولة العثمانية بتوطين القبائل البدوية على طول طرق الدولة الرئيسية التي من أبرزها طريق الحج الشامي، كما ركزت الدولة خلال هذه الفترة على زيادة عدد الحراس في منازل الحج وتزويد الحجاج بالمؤن والأمن [٥].

---

(١) النابلسي: عبد الغني إسماعيل ، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز ،تحقيق : أحمد عبد المجيد هريدي ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ص ٤٨٦.

(٢)الشرعة، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ص ٣٢٥.

(٣) بني يونس، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن، ص ١٠٨.

(٤) المنجد، ولاة دمشق في العهد العثماني، ص ٨٣.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٢٧.

المبحث الرابع: أثر هذه العقبات والصعوبات على تنظيم القافلة إداريا وماليا

لقد كان للعقبات والصعوبات التي تعرضت لها قافلة الحج الشامي سواء الأمنية أو الطبيعية أثر كبير في تنظيم القافلة من الناحيتين الإدارية والمالية ويمكن التعرف عليها من خلال النقاط التالية.

أولا: أثر العقبات والصعوبات على تنظيم القافلة إداريا

١. تغيير هوية أمراء الحج للقافلة مما أدى إلى عدم استقرار العلاقات بين أمراء الحج والقبائل البدوية إذ لجأت الدولة العثمانية في البداية إلى إسناد إمارة الحج الشامي إلى أحد الأمراء المحليين من حكام صناجق غزة أو عجلون أو اللجون أو نابلس أو القدس التي كانت تتبع ولاية دمشق، ثم انتقلت إلى الإنكشارية بعد أن زادت سلطتهم في دمشق تلك الفترة ولما كان هم هؤلاء الأمراء الإثراء من منصبهم الذي اشتروه بالمال فقد كان من جملة أساليبهم في تعويض ذلك الامتناع عن دفع اعطيات الحج " الصرة" إلى البدو لشراء طاعتها، الأمر الذي أدى إلى ازدياد اعتداءات القبائل البدوية على القافلة ونتيجة لضعف نفوذ هؤلاء الإنكشارية قامت الدولة العثمانية بتعيين موظفين عثمانيين. وقد نتج عن هذا التنوع في هويات أمراء قافلة الحج عدم استقرار علاقتهم مع البدو مما جعل القبائل البدوية تقوم بالهجوم على قافلة الحج خاصة وأن الموظفين العثمانيين المعينين أمراء للقافلة امتنعوا عن دفع الصرة وهي ما اعتادت الدولة دفعه للقبائل البدوية سابقا، لذلك لجأ السلطان العثماني إلى تعيين ولاة دمشق أمراء لقافلة الحج .

٢. تعيين أمراء أقوياء لقيادة القافلة لصد هجمات القبائل البدوية وبث الرعب في قلوبهم لحماية قافلة الحج الشامي والحجاج مثل أسرة آل العظم الذين أمّنوا سلامة القافلة مما أدى إلى إطالة حكمهم لدمشق حوالي ستين عاما بشكل متقطع خلال القرن الثاني عشر

الهجري / الثامن عشر الميلادي[1] والأمير محمد بن فروخ الذي اشتهر بقوته وشجاعته وذاع صيته بين القبائل البدوية مما جعلهم إذا أرادوا أن يُخيفوا أحدا منهم يقولوا ها ابن فروخ أقبل فتتلوى قوائمه .

٣. تعدد موظفي القافلة حفاظا عليها وعلى الحجاج وكان لكل موظف دور كبير سواء في حماية القافلة أو تنظيمها مثل الدوادار الذي كان بمثابة الشرطي يطوف بالليل لتتبع أهل الريب واللصوص ،كما كان عليه أيضا تسهيل الطرق في المضايق، والجوخدار وهو المبشر بسلامة الحجاج إذا عادوا سالمين أو يطلب النجدة في حال تعرض القافلة للهجوم من قبل القبائل البدوية، وأمير الركب الذي يقوم بقيادة الجند المختصين بحراسة المحمل والكتخدا الذي يقوم بمساعدة أمير الحج على حفظ النظام داخل القافلة.

٤. تعدد الطرق ولجوء القافلة إلى تغيير الطريق المعتاد سيره وهو الطريق السلطاني إلى طرق جديدة غير معروفة وأكثر خطرا وخوفا من هجوم القبائل البدوية وقد لا تتوفر في هذه الطرق الآبار والمياه مما يؤدي إلى موت الحجاج عطشا وجوعا.

٥. تنظيم قافلة تابعة للحج وهي قافلة الجردة لتمويل القافلة الرئيسية إذا ما تعرضت لأزمة غذائية نتيجة للعواصف أو العقبات الطبيعية كالحرِّ الشديد أو البرد القارس الذي ينتج عنه في أغلب الأحيان وفاة بعض الحجاج، وكان لهذه القافلة أمير يُدعى بأمير الجردة مهمته الخروج لملاقاة القافلة الرئيسية (قافلة الحج الشامي) في طريق عودتها إلى الشام وتزويدها بما ينقصها من المؤن خشية أن يكون ما عندهم قد نفد. كما يتم إعداد وتجهيز جردة ثانية ترسل عند حدوث أي طارئ أو هجوم تتعرض له القافلة الأولى للجردة من قبل القبائل البدوية من سلب ونهب وتدمير، وغالبا ما يقع تجهيزها على أهالي دمشق نفسها.

---

(١) رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، ص ١٠.

٦. تعيين ما يسمى بشيخ عربان الشام ليكون همزة وصل بين السلطات العثمانية والقبائل البدوية للتخفيف من اعتداءاتها على القافلة.

٧. تنظيم وتجهيز احتفالات رسمية تشارك فيها جميع الفئات والطبقات لتوديع القافلة واستقبالها، وقد شملت تلك الاحتفالات مراسم التوديع مثل موكب الزيت والشموع وموكب المحمل والسنجق وموكب قافلة الحج، أما استقبالها فكان مرهوناً بالظروف الأمنية والسياسية والاقتصادية لبلاد الشام والحجاز كما سبق أن ذكرناه.

٨. لجوء القافلة للإقامة عدة أيام قد تصل لعشرين يوما أو أكثر في منزل من منازل طريق الحج خوفا من اعتداءات القبائل البدوية مما يؤدي إلى تأخر وصول القافلة في الموعد المحدد، كما حدث لقافلة الحج الشامي عام ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م عند عودتها للشام عندما أقامت في العلا عشرين يوما خوفا من هجوم القبائل البدوية عليها .

ثانيا: أثر العقبات والصعوبات على تنظيم القافلة ماليا

١. نفاد المخصصات المالية لقافلة الحج الشامي بسبب تعرض القافلة للنهب والسلب من قبل القبائل البدوية التي تقوم في أغلب الأحيان بنهب أموال وبضائع التجار المرافقين لقافلة الحج.

٢. تخصيص الدولة صرة تسمى (صرة العربان) تُقدم للقبائل البدوية المقيمة على طريق قافلة الحج الشامي وذلك لضمان ولائها وعدم تعرضها للحجاج.

٣. تخصيص مبالغ مالية للقوات المرابطة في المنازل والقلاع الواقعة على طريق الحج الشامي المكلفة بحماية الطريق وحراسته من اعتداءات القبائل البدوية.

٤. قيام أمير الحج بجولة تفتيشية قبل حلول موسم الحج بثلاثة أشهر تقريبا تدعى بالدورة لجمع الأموال من سكان المناطق الجنوبية من ولايته للاستعانة بها في إعداد القافلة وإظهار سطوة الدولة في تلك الجهات التي يحكم فيها أصحاب العصبيات من شيوخ البلاد وزعماء العشائر.

الخــاتمة

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج ومنها:

أولا: منـذ بدايـة العهـد العثمـاني أصـبح خـط سـير قافلـة الحـج الشـامي شـبه محـدد، وأصبحت المحطات التي يقف فيها الحجاج للراحة شبه ثابتة، ولاسيما بعد أن أقامت الدولة العثمانية محطات جديدة لاستراحة الحجاج لتقريب المسافات بين محطات الاستراحة وتوفير ما يلزم من ماء وطعام وتوفير الأمن والطمأنينة للقوافل.

ثانيا: أولت الدولة العثمانية اهتماما بالغا بقافلة الحج الشامي؛ بتقديمها العون للحجاج في طريق الذهاب والإياب وبتوفير الحماية لها، وعدم تغاضيها عن اعتداءات القبائل البدوية على القافلة وذلك للمحافظة على سمعة السلطان العثماني كحام للحرمين الشريفين.

ثالثـا: رصـدت الدولـة العثمانيـة العديـد مـن المـوارد الماليـة لتمويـل قافلـة الحـج الشـامي ولتأمين نفقاتها، وقد تنوعت المصادر المالية التي مولت قافلة الحج الشامي فجاء قسم كبير منها من الضرائب التي أشير إليها بمال الميري كما ساهم مال البدل في تمويل قافلة الحج، وكان لقافلة الجردة والصرة والدورة دور كبير في تمويل القافلة وسد احتياجاتها.

رابعـا: شكلت قافلة الحج الشامي وسيلة من وسائل التبادل التجاري ما بين الشام والحجاز، إذ أنه عن طريق القافلة كان يتم تبادل العديد من السلع التجارية مما كان له تأثير كبير في حياة دمشق الاقتصادية.

خامسا: بذلت الدولة العثمانية جهودا كبيرة في توفير سبل الراحة والأمان لقافلة الحج الشامي في طريقها للذهاب إلى الديار المقدسة، فعينت أمراء أقوياء لقيادة القافلة أمثال محمد بن فروخ، كما قامت ببناء القلاع على امتداد طريق القافلة ووضعت فيها حاميات الإنكشارية لمراقبة تلك الطرق وحمايتها .

سادسا: تعددت الاحتفالات المرتبطة بقافلة الحج الشامي في الدولة العثمانية وكانت تعتبر هذه الاحتفالات من أطول المراسم الدينية والمدنية وأكثرها روعة كما أن عدد المشاركين فيها يزيد على ما عداهم من المشاركين في الاحتفالات الأخرى التي كانت تقام في دمشق لسبب أو لآخر وقد شملت تلك المراسم موكب الزيت والشموع وموكب المحمل والصنجق وموكب القافلة نفسها.

سابعا: كان موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي متباينا ما بين حماية القافلة وتقديم خدمات مختلفة للحجاج مثل تقديمها للجمال، ومابين الاعتداء على القافلة الذي يعد طابعا عاما سيطر على موقف القبائل من القافلة، لامتناع أمراء قافلة الحج الشامي عن دفع مال الصرة للقبائل البدوية الواقعة على طريق الحج الشامي.

قائمة

المصادر والمراجع

أولا : الوثـائق العثمانية الغير منشورة ومحفوظة في دارة الملك عبدالعزيز:

- وثيقة عثمانية: دفتر تقسيمات الصرة الحلبية على أهالي مكة، رقم ١١٥١، TS.Mad بتاريخ ١٠٠٢/٨/١هـ /١٥٩٤/٤/٢٢م
- وثيقة عثمانية: دفتر بخصوص توزيع الصرة الهمايونية على مستحقيها في المدينة المنورة، رقم ٢٨٠١، E-Eva، بتاريخ ١١٠٣/٦/٢٩هـ/ **١٦٩٢/٣/١٨م.**
- وثيقة عثمانية بخصوص توزيع الصرة الهمايونية على مستحقيها، رقم٥٥٤/٢٧٩٥٨،CEVK، بتاريخ ١١٢٣/٤/١٦هـ /١٧١١/٦/٣م
- وثيقة عثمانية : بخصوص طلب إرسال الهدايا والبريد من مكة في لفافات خاصة مع أمين الصرة والمبشرين،رقم ١١٣٠/٢٣ C.DAH بتاريخ ١١٤٢/٣/١٥هـ / ٢٨/ ٢/ ١٧٢٩م.
- وثيقة عثمانية، بخصوص الرسالة التي ترسل كل عام إلى أمير مكة مع أمين الصرة. رقم ١٠٢٠٥، C.DAH، بتاريخ ١١٧٢/٦/١هـ./ ١/٣٠ / ١٧٥٩م.
- وثيقة عثمانية: أمين الصرة الهمايونية يطلب ستة جمال لحمل الصرة من الشام إلى مكة، رقم ١٢٩٩،C.DAH، بتاريخ ١١٧٥/٦/١٩هـ/ ١٧٦٢/١/١٥م.
- وثيقة عثمانية بخصوص الامر بصرف ٥٠٠ سكة حسنة إلى مكة المكرمة مع الصرة الهمايونية كما هو معتاد رقم ٣٤٣/١٧١٣١، C.EVKkبتاريخ ١١٧٧/١/٢٤هـ/ ١٧٦٣/٨/٤م.
- وثيقة عثمانية بخصوص الإخطار بان أمير مكة تسلم الأموال المرسلة من استانبول إلى مكة مع أمين الصرة، رقم ٥٢٠/٢٦٢٧٢،CEVK، بتاريخ ١١٧٧/١٢/٢٣هـ /١٧٦٤/٦/٢٣م.
- وثيقة عثمانية بخصوص معاملة جرت حول الصرة التي طلبها عربان حرب من عثمان باشا أمير الحج السابق ، رقم٥٣٧/٢٧١٠٨،CEVK، بتاريخ ١١٩١/٥/٢٩هـ / ١٧٧٧/٥/٥م
.

ثانيا : المخطوطات :

- **البرزنجي: جعفر حسن بن عبد الكريم ،**

مخطوط النفح الفرجي في الفتح الجتة جي، رقم السجل (٢٨٦٢) ، محفوظه بدارة الملك عبد العزيز بالرياض.

- **مجهول :**

كفاية المحتاج إلى معرفة منازل الحاج، مخطوط، مكتبة الحرم المكي، رقم ف ٢٧٠٣، عام مصورات.

ثالثا : المصـادر :

- **بتس: جوزيف ،**

رحلة جوزيف بتس الحاج (يوسف) إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمة ودراسة: عبد الرحمن بن عبد الله الشيخ، مصر الهيئة المصرية العامة ،١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

- **البتنوني : محمد لبيب ،**

الرحلة الحجازية ، ط٢، مصر ، مطبعة الجمالية ، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

- **البوريني : الحسن بن محمد ،**

تراجم الأعيان من أبناء الزمان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ج١ ، دمشق ، المجمع العلمي العربي ،١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م.

- **بيركهات: جون لويس،**

رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ترجمة: هتاف عبدالله، بيروت: الانتشار العربي للطباعة والتوزيع ،١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

- **بيركهارت :يوهان،**

رحلات بيركهارت في سوريا الجنوبية ، ترجمة أنور عرفات ، ج٢ ، عمان ، دار الثقافة والفنون ، المطبعة الأردنية ،١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م .

- **الجزيري : عبد القادر بن محمد الأنصاري ،**

الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، تحقيق حمد الجاسر ، ج١،ج٢ ، الرياض ، دار اليمامة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- **الحربي : ابراهيم بن اسحاق ،**

المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، دراسة وتحقيق: حمد الجاسر، الرياض ، دار اليمامة ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .

- **الحلاق : أحمد البديري ،**

حوادث دمشق اليومية ١١٥٤-١١٧٥هـ/ ١٧٤١-١٧٦٢م، تحقيق أحمد عزت عبد الكريم ، القاهرة ، مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، د.ت .

- **الحنفي : عبد الله الغازي المكي ،**

إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام ، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، م٣ ، مكة المكرمة ، مكتبة الأسدي ،٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م .

- **الخياري المدني : إبراهيم بن عبد الرحمن ،**

تحفة الأدباء وسلوة الغرباء ، تحقيق رجاء محمود السامرائي ، ج١ ، بغداد ، وزارة الثقافة والأعلام ، د.ت .

- **دحلان : أحمد الزيني ،**

خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام ، بيروت ، الدار المتحدة ، د.ت .

- **دفتر مفصل لواء عجلون** : طابو دفتر رقم ٩٧٠ ، دراسة وتحقيق وترجمة : محمد عدنان البخيت ونوفان رجاء الحمود ، عمان ، منشورات الجامعة الأردنية ،١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م
- **الدمشقي : محمد بن طولون الصالحي ،**

إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، ط٢ ، دمشق ، دار الفكر ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

- **الدمشقي : ميخائيل بريك ،**

تاريخ حوادث الشام ولبنان ١١٩٢- ١٢٥٧هـ/ ١٧٨٢-١٨٤١م، تحقيق أحمد غسان سبانو ، ط ٢ ، دمشق ، دار قتيبة ،١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- **الرشيدي : أحمد ،**

حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج ، تحقيق ليلى عبد اللطيف أحمد ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ،١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- **الزياني : أبو القاسم ،**

الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا ، تحقيق عبد الكريم الفلالي ، المملكة المغربية ، وزارة الأنباء المغربية ،١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م .

- **الصباغ: عبود،**

الروض الزاهر في تاريخ ظاهر، تحقيق: محمد محافظة وعصام هزايمة،أربد: مؤسسة حمادة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

- **الصيادي : محمد عز الدين عربي كتابي ،**

الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية ، دمشق ، المقتبس ،٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م.

- **ابن طولون : محمد الحنفي ،**

البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي ، تحقيق حمد الجاسر ، مجلة العرب ، العدد ١١-١٢ جماد أول - وثاني / مايو - ويونيو ، السنة ١٠ ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

- **العبد : حسن آغا ،**

تاريخ حسن آغا العبد ، حوادث بلاد الشام والإمبراطورية العثمانية ١٧٧١-١٨٢٦م ، تحقيق يوسف جميل نعيسة ، دمشق ، دار دمشق للطباعة ،١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- **العظم : خالد ،**

مذكرات خالد العظم ، ج١ ، ط٣ ، بيروت ، الدار المتحدة للنشر ،١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م.

- **العظمة : عبد العزيز ،**

مرآة الشام، تاريخ دمشق وأهلها ، تحقيق نجدة فتحي صفوة ، لندن ، رياض الريس للكتب والنشر ، د.ت .

- **العورة : إبراهيم ،**

تاريخ ولاية سليمان العادل ، تعليق الأب المخلصي قسطنطين الباشا ، صيدا ، مطبعة دير المخلص ،١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م .

- **الغزي : نجم الدين محمد بن محمد ،**

الكواكب السائرة بأعيان المئه العاشرة ، تحقيق خليل المنصور ، ج٣ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- **قساطلي : نعمان ،**

الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، بيروت ، دار الرائد العربي ، ١٢٩٩هـ/ ١٨٧٩م.

- **كرد : محمد علي ،**

خطط الشام ، ج٦ ، دمشق ، مطبعة المفيد ، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م.

- **ابن كنان : محمد بن عيسى بن كنان الصالحي الدمشقي ،**

- المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية ، دراسة وتحقيق حكمت سليمان ، ج١ ، دمشق ، وزارة الثقافة ،١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية ، تحقيق أكرم العلبي ، دمشق ، دار الطباع ،١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- **المحبي : محمد أمين بن فضل الله ،**

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ج٢ –ج٣ – ج٤ ، بيروت ، دار صادر، د.ت.

- **المرادي : محمد خليل ،**

سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، ج٢ – ج٣ ، بغداد ، مكتبة المثنى ، ١٣٠١هـ /١٨٨٣م.

- **المقار : محمد بن جمعة ،**

الباشات والقضاة في دمشق ، دمشق ، د.ن ، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م .

- **المكناسي: محمد بن عبد الوهاب،**

رحلة المكناسي إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب، ١٨٧٥م، حققها وقدم لها: محمد بوكبوط، أبوظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع،١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

- **الموسوي : محمد بن عبد الله الحسيني الشهير بـ(كبريت) ،**

رحلة الشتاء والصيف ، تحقيق محمد سعيد الطنطاوي ، ط٢ ، بيروت ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

- **النابلسي : عبد الغني إسماعيل ،**

الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز ،تحقيق : أحمد عبد المجيد هريدي ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

- **نوفل : نوفل نعمة الله ،**

كشف اللثام عن محيا الحكومة والأحكام في إقليمي مصر وبر الشام ، لبنان ، جروس برس ،١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

- **الورثيلاني: سيدي الحسين بن محمد،**

نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المشهورة بالرحلة الورثيلانية، ط٢،بيروت: دار الكتاب العربي،١٣٩٣هـ/١٩٧٤م.

رابعا : المراجع :

- **الأبيش : أحمد وقتيبة الشهابي ،**

معالم دمشق التاريخية . دراسة تاريخية ولغوية عن أحيائها ومواقعها القديمة وتراثها واشتقاق أسمائها ، دمشق ، وزارة الثقافة ،١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

- **أبو دية : سعد ،**

معان دراسة في الموقع استعراض تاريخ المدينة السياسي وأثر الموقع فيه منذ عهود معين وسبأ وحتى اليوم ، عمان ، الأردن ، ١٤٠٤هـ/ أيلول ١٩٨٤م .

- **أبو سليم : عيسى سليمان ،**

الأصناف والطوائف الحرفية في مدينة دمشق خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ، عمان ، دار الفكر ،١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

- **إينالجيك : خليل ،**

تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ترجمة محمد الارناؤوط ، بيروت ، دار المدار الإسلامي ،١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م .

- **بركات : مصطفى ،**

الألقاب والوظائف العثمانية ، دراسة في تطور الألقاب والوظائف العثمانية منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الأثار والوثائق والمخطوطات ١٥١٧-١٩٢٤م ، القاهرة ، دار غريب ،١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م .

- **بكر : سيد عبد المجيد ،**

الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، المملكة العربية السعودية ، تهامة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

- **بليبلة : ثائرة رشيد حسني ،**

قراءة معمارية في السجلات العثمانية للمحكمة الشرعية في نابلس في الفترة ١٦٥٥-١٨٠٧م ، نابلس ، جامعة النجاح الوطنية ،١٤٣١هـ/ ٢٠١٠ م .

- **بني يونس ، مأمون أصلان ،**

قافلة الحج الشامي في شرقي الأردن في العهد العثماني ١٥١٦-١٩١٨م ، عمان ، وزارة الثقافة ،١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

- **بيات ، فاضل ،**

الدولة العثمانية في المجال العربي ، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا، مطلع العهد العثماني- أواسط القرن التاسع عشر ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ،١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

- **بيومي : محمد علي فهيم ،**

مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني في الفترة من ٩٢٣- ١٢٢٠هـ/ ١٥١٧- ١٨٠٥م ، القاهرة ، دار القاهرة للكتاب ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

- **جارشلي : إسماعيل حقي أوزون ،**

أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني ، ترجمة ، خليل علي مراد ، البصرة ، مركز دراسات الخليج العربي ،١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

-الحصان: عبد القادر،

القلاع والخانات التركية على طريق الحاج الشامية في الديار الأردنية، دراسات وبحوث ميدانية آثارية ومعمارية، عمان: وزارة الثقافة،١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

- **حلمي : إبراهيم ،**

المحمل رحلات شعبية في وجدان أمة ، القاهرة ، مكتبة التراث الإسلامي ،١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

- **الحمود : نوفان رجا ،**

العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، بيروت ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

- **الخربوطلي : علي حسني ،**

الكعبة على مر العصور ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ،١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

- **الدباغ : مصطفى ،**

بلادنا فلسطين ، ج٢ ، بيروت ، دار الطليعة ،١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م .

- **دوماني : بشارة ،**

إعادة اكتشاف فلسطين ، أهالي جبل نابلس ١٧٠٠- ١٩٠٠، بيروت ،مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

- **رافق : عبد الكريم ،**

- بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت ١٥١٦- ١٧٩٨م ، ط٢ ، دمشق ، د.ن ،١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م .
- العرب والعثمانيون ١٥١٦- ١٩١٦م ، دمشق ، د.ن ،١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م .

- **رفيع : محمد عمر ،**

مكة في القرن الرابع عشر الهجري ، مكة ، نادي مكة الثقافي الأدبي ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

- **زكريا : أحمد وصفي ،**

الريف السوري ، محافظة دمشق ، ج٢ ، دمشق ، المطبعة العمومية ، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م .

عشائر الشام ، ط٢ ، بيروت ، - دمشق ، دار الفكر ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

- **سليمان: احمد السعيد،**

الإدارة العثمانية في الولايات العربية، القاهرة: دنا،١٣٩٣هـ/١٩٧٤م.

- **شاهين : عزة بنت عبد الرحمن محمد ،**

خدمات الحج في الحجاز خلال العصر العثماني ، القاهرة ، دار القاهرة ،١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م .

- **الشقيرات: أحمد صدقي،**

تاريخ الأدارة العثمانية في الاردن،(١٨٦٤-١٩١٨م)، عمان: مطبعة آلاء للطباعة والتصميم،١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- **شيلشر : ليندا ،**

دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ترجمة عمرو ودينا الملاح ، مراجعه عطاف مارديني ، دمشق ، دار الجمهورية ،١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

- **عامر : محمود علي ،**

المكاييل والأوزان والنقود منذ فجر الإسلام وحتى العهد العثماني ، دمشق ، مطبعة ابن حيان ،١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- **عبد الجبار : عبد الله و محمد عبد المنعم خفاجي ،**

قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي ، د.ط القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ،١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م .

- **عبد الغني : محمد إلياس ،**

تاريخ المسجد النبوي الشريف ، الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

- **عمارة : طه عبد القادر ،**

تاريخ عمارة وأسماء أبواب المسجد الحرام حتى نهاية العصر العثماني ، مكة ، جامعة أم القرى ، مركز أبحاث الحج .

- **عمر : سميرة فهمي علي ،**

إمارة الحج في مصر العثمانية ، ٩٢٣- ١٢١٣هـ/ ١٥١٧- ١٧٩٨م ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

- **عوض: عبد العزيز،**

الإدارة العثمانية في ولاية سورية(١٨٦٤-١٩١٤م)، القاهرة: دار المعارف،١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

- **فاروقي : ثريا ،**

حجاج وسلاطين الحج أيام العثمانيين ١٥١٧-١٦٨٣م ، ترجمة أبو بكر أحمد باقادر ، ط١ ، بغداد – بيروت ، منشورات الجمل ،١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م .

- **القضاة : أحمد حامد ،**

نصارى القدس ، دراسة في ضوء الوثائق العثمانية ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ،١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م .

- **الكلابي : حياة بنت عبد الله حسين ،**

النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي ، بشمال غرب المملكة العربية السعودية من القرن الأول إلى القرن الخامس عشر الهجري ، الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م .

- **كيال : منير ،**

  - ياشام في التراث الشعبي الدمشقي ، د.ط دمشق ، وزارة الثقافة ،١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
  - محمل الحج الشامي ، دراسة وثائقية ، دمشق ، وزارة الثقافة ،١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

- **آل ضرمان : عبد العزيز بن ضرمان وسند بن مطلق السبيعي ،**

الإبل أسرار وإعجاز ، تقديم سعيد بن محمد با إسماعيل ، ط٢ ، الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

- **لويس : برنارد ،**

استانبول حضارة الخلافة الإسلامية ، تعريب الدكتور سيد رضوان علي ، ط٢ ، الرياض ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

- **المحامي : محمد فريد بك ،**

تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقي ، بيروت : دار النفائس ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- **محمود : أحمد محمد ،**

رحلات الحج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ج١ ، جدة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ،١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

- **المكي : محمد طاهر الكردي ،**

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، ج٢ ، ط٢ ، بيروت ، دار خضر ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

- **المنجد : صلاح الدين ،**

ولاة دمشق في العهد العثماني ، وهو يتضمن الباشات والقضاة لأبن جمعه والوزراء الذين حموا دمشق لأبن القاري ومصادر عن تاريخ دمشق أيام العثمانيين ، دمشق ، المقتبس ،٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م.

- **موسل : لويس ،**

شمال الحجاز ، ترجمة عبد المحسن الحسيني ، الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية للطبع والنشر ، د.ت .

- **نعيسة : يوسف جميل ،**

مجتمع مدينة دمشق في القرنين مابين ١١٨٦-١٢٥٦هـ/١٧٧٢-١٨٤٠م ، ج٢ ، دمشق ، دار الطلاس ،١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

- **النمر : إحسان ،**

تاريخ جبل نابلس والبلقاء ، ج١ ، دمشق ، مطبعة ابن زيدون ، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

- **هريدي : محمد عبد اللطيف ،**

شئون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية ، القاهرة ، دار الزهراء ، د.ت

خامسا: الرسائل الجامعية:

- **جلال : آمنة حسين محمد علي ،**

طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العهد المملوكي ٦٤٨- ٩٢٣هـ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .

- **الغنيمي : مازن يوسف ،**

دراسة قافلة الحج الشامي وتحقيق مخطوط النفح الفرجي في الفتح الجته جي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، دمشق ، جامعة دمشق ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

سادسا: الأبحاث :

- **أوغلي : خليل ساحلي ،**

النقود في البلاد العربية في العهد العثماني ، **مجلة كلية الآداب** ، الجامعة الأردنية ، السنة ٢ ،١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م .

- **الحزماوي : محمد ماجد صلاح الدين ،**

الصرة السلطانية لعلماء القدس الشريف وفقرائها في العهد العثماني ١١١١-١٣١٧هـ/١٧٠٠- ١٩٠٠م ، **المجلة الأردنية للتاريخ والآثار** ، العدد ٤ ، المجلد ٤ ،١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م .

- **رافق : عبد الكريم ،**

قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني ، **مجلة دراسات تاريخية** ، جامعة دمشق ، العدد ٦ ، ذو الحجة ، ١٤٠١هـ/ تشرين الأول ١٩٨١م .

- **السامرائي : أحمد محمود علو ومحمد حمزة حسين ،**

الإنكشارية ودورهم في الدولة العثمانية حتى سنة ١٨٢٦م ، **مجلة التربية والعلم** ، م١٧ ، العدد ٢ ، السنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م .

- **السرياني : محمد محمود** ،

منازل الحج الشامي في الأردن ، دراسة في الجغرافيا التاريخية ، **الدارة** ، العدد١ ، السنة ٣ ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

- **السنوسي : محمد عثمان** ،

في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج ، **مجلة العرب** ، العدد ٣-٤ ، السنة ١٣ ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

- **الشرعة : إبراهيم فاعور** ،

- موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين ، مجلة دراسات ، العلوم الإنسانية والاجتماعية ، **الجامعة الأردنية** ، المجلد ٢٩ ، العدد ٢ ،١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م .
- سليمان باشا العظم والي دمشق المرحلة الأولى ١١٤٦-١١٥١هـ الموافق ١٧٣٤-١٧٣٨م المرحلة الثانية ١١٥٤-١١٥٦هـ الموافق ١٧٤١-١٧٤٣م ، دراسة تاريخية موثقة ، **الدارة**، العدد ١ ، السنة ٣٤ ، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م.

- **صابان : سهيل** ،

مخصصات القبائل العربية من واقع الصرة العثمانية لعام ١١٩٢هـ/١٧٧٨م ، **مجلة جامعة الملك سعود** ، م٢ ، الآداب ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

- **صافي : خالد** ،

حسين باشا مكي ، **مجلة الجامعة الإسلامية** ، المجلد ١٣ ، العدد ٢ ، السنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م .

- **صواش : نوزاد** ،

المحمل الشريف أشواق إلى ديار الحبيب صلى الله علية وسلم ، **مجلة حراء** ، العدد١ ،١٤٢٥هـ/ أكتوبر – ديسمبر ٢٠٠٥م .

- **طريق الشام** إلى مكة المكرمة منذ قرن ونصف قرن ، **مجلة الوثيقة** ، البحرين ، العدد ٢ ، السنة ١٠ ،١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

- **العلي : صالح أحمد** ،

منازل الطريق بين المدينة ومكة ، **الدارة** ، العدد ١ ، السنة ٣ ، الرياض ،١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

- **علي : عرفة عبده** ،

قافلة الحج الشامي في ذاكرة التاريخ ، **مجلة الحج والعمرة** ، شهرية ، العدد ٣ ، السنة ٦٤، ربيع الأول ١٤٣٠هـ/ مارس ٢٠٠٩م .

- **عنقاوي : عبد الله عقيل** ،

المحمل نشأته وآراء المؤرخين فيه ، **مجلة كلية الآداب** ، المجلد ٢ ، الرياض ، جامعة الرياض ،١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م .

- **غنايم : زهير** ،

جباية الرسوم والضرائب من الأراضي الزراعية في فلسطين في ظل نظام التيمار والتأجير ، المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام ، ١٠ -١٤ جمادى الأول ١٤٣٣هـ/ ١-٥ نيسان ٢٠١٢م

- **مالكي : سليمان عبد الغني ،**

طرق حجاج الشام ومصر منذ الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن السابع الهجري ، **الدارة** ، العدد١ ، السنة ١٠ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

سابعا :المعـاجم :

- **البلادي : عاتق بن غيث ،**

معجم معالم الحجاز ، ط١ ، ج٣ ، الطائف ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.

- **الجاسر : حمد ،**

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، د.ط ، الرياض ، دار اليمامة ، د.ت .

- **الحموي : ياقوت بن عبد الله ،**

معجم البلدان ، ج ٣، ٤، ٥ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

- **دهمان : محمد أحمد ،**

معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ط١ ، بيروت ، – دمشق ، دار الفكر ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

- **الزركلي : خير الدين،**

الأعلام ، ج٥ ، ط١٥ ، بيروت ، دار العلم للملايين ،١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م .

- **صابان : سهيل ،**

المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

- **الفيومي : أحمد بن محمد بن علي ،**

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ج٢ ، بيروت ، المكتبة العلمية ، د.ت .

- **القاسمي : محمد جمال الدين وخليل العظم ،**

قاموس الصناعات الشامية ، ج٢ ، دمشق ، دار الطلاس ،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- **كحالة : عمر رضا ،**

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ج١-ج٢ ، ط٨ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

- **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية ، ط٤ ، مصر ، مكتبة الشروق الدولية ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

- **ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم ،**

لسان العرب ، م٥ ، القاهرة ، دار الحديث ،١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

ثامنا :الصحف :

- **خليل : محمد قاسم ،**

دمشق شام شريف ملتقى حجاج المشرق والمغرب ، **صحيفة الثورة** ، يومية سياسية ،٢٩/١١/١٤٣٠هـ- ٢٧/١١/٢٠٠٩م .

- **القحطاني : جابر بن سالم ،**

الرمّث يشفي من الزكام ويعيد السكر لمستواه الطبيعي ، **صحيفة الرياض الالكترونية** ، العدد ١٣٨٢٥، ٣/ ربيع الأخر / ١٤٢٧هـ- ٢/مايو /٢٠٠٦م.

- **وكالة أنباء التقريب(تنا) :**

مواكب الحج الشامي استعدادا يبدأ من الفطر ، **صحيفة وكالة أنباء التقريب** ، دمشق ، ٢٧/ جمادى أول/ ١٤٣٢هـ/ ٢٥/ أكتوبر / ٢٠١١م.

تاسعا :مراجع باللغة الإنجليزية :

–**Abdul-Karim Rafeq**: The Province of Damascus 1723-1783,Khayats, Beirut,1970.